



# مقالات لادكتور محمد السلمي

من ١١-٦-٢٠١٥ إلى ٢٨-٤-٢٠١٦

*Articles*

*By*

*dr. Mohammed Alsulami*

## البعدان القومي والمذهبي في السياسة الخارجية الإيرانية

### تروج الماكنة الإعلامية الإيرانية لمزاعم أن اليمن وأجزاء من المنطقة العربية كانت تحت مظلة الإمبراطورية الفارسية، لتشكل مزاجا قوميا داعما لمشاريع إيران في المنطقة

العام المحلي لتشكل مزاجا قوميا داعما لمشاريع إيران في المنطقة، خاصة أن هذا النظام يدرك جيدا قوة النزعة القومية في الهوية الإيرانية في العصر الحديث.

من هنا، يكثف الساسة والقادة العسكريون هناك حملاتهم الإعلامية التي تسعى إلى إقناع الشارع الإيراني بأن التدخل في العراق وسورية واليمن ليس تدخلا في الشأن الداخلي لتلك الدول، بقدر ما هو لحماية الأمن القومي الإيراني في المقام الأول، وهذه العبارة تخاطب المخيلة الفارسية بشكل مباشر وشفاف.

علاوة على ذلك، يروج النظام الإيراني لفكرة «العدو المتربص» بالبلاد، من خلال إبقاء أحداث الحرب العراقية-الإيرانية وموقف دول الجوار العربي من ذلك حاضرة دائما في المشهد الشعبي. هذا الدفاع ليس من خلال حماية الحدود الجغرافية لإيران، بل عبر تدمير الخطر في مصدره ويتذكر الجميع تصريحات بعض المسؤولين الإيرانيين حول أن الدفاع عن سورية يعد دفاعا عن إيران وحدودها، والشارع الإيراني يفهم ذلك في هذا الإطار.

على صعيد آخر، يلعب «الآخر العربي» دورا بارزا في المزاج الثقافي والسياسي والديني والتاريخي الإيراني، بل إن العربي يظل الآخر الذي يُعرّف من خلاله الإيراني

تتشكل إيران من خليط فسيفسائي من الأعراق والأديان والمذاهب، الأمر الذي أثر كثيرا على سياسة إيران الداخلية والخارجية، خاصة في ظل النظام الحالي.

على مستوى البعد القومي، كانت النزعة القومية خلال الحقبة البهلوية هي السمة الطاغية للنظام الإيراني. كان الشاه يطمح إلى التوسع في المنطقة العربية كما كان يعد إيران بمثابة القوة المهيمنة في المنطقة.

خلال تلك الفترة، تم احتلال الجزر الإماراتية الثلاث. هذا المشروع السياسي الإيراني استمر بعد ثورة ١٩٧٩، وإن ظهر برداء جديد. تمهيدا لمشروعها التوسعي في المنطقة العربية، تعتمد إيران دائما إلى استدعاء التاريخ والجغرافيا بشكل متكرر وممنهج.

في هذا الجانب، يظهر البعد القومي جليا في السياسة الخارجية للجمهورية الإيرانية، من خلال الحديث عن حدود الإمبراطورية الساسانية التي كتب الفتح الإسلامي العربي آخر صفحاتها في القرن السابع الميلادي، ولأنه لا يوجد في الوقت الراهن امتداد قومي لإيران في الداخل العربي، وكى لا تهمل البعد القومي لأهداف داخلية بحتة، تروج الماكنة الإعلامية الإيرانية لمزاعم أن اليمن وأجزاء من المنطقة العربية كانت تحت مظلة الإمبراطورية الفارسية، وتنش في المواقع الأثرية عما تقنع به الرأي

استمرار المشروع التوسعي الإيراني في المنطقة، إلا أن المظلة العامة تحولت من الجانب القومي إلى المذهبي فقط. فمنذ انتصار الثورة عام ١٩٧٩، أخذت إيران تروج وتعمل على مشروع تصدير ما يسمى بـ«الثورة الإسلامية» إلى دول الجوار العربي، ليس خدمة للمذهب الشيعي بقدر ما هو إخفاء للمشروع السياسي التوسعي تحت عباءة المذهبية، وما يعرف في أدبيات النظام الإيراني بـ«حماية المستضعفين» في العالم، وتعني بذلك الأقليات الشيعية على وجه الخصوص، ودونت ذلك في الدستور الإيراني تحت المادة رقم «١٥٤».

من هنا، سمحت إيران لنفسها، وفي إطار دستوري، بالتدخل في الشأن الداخلي لدول المنطقة، إلا أن الهدف الرئيس ليس الدفاع عن المكون الشيعي أو خدمة المذهب بقدر ما هو استثمار هذه الورقة لتقديم طموحاتها التوسعية في المنطقة.

إلى جانب ذلك، هناك فكرة «الدولة المهدوية» التي تشكل نواة الجانب الأيديولوجي للنظام الإيراني.

تعتمد هذه الفكرة على التخلص مما تطلق عليه بعض أدبيات المذهب «التخلص من الطغاة وإحلال العدل والمساواة» في الدولة المهدوية تحت راية الإمام الغائب. قام النظام الإيراني بتوظيف هذا الجانب المذهبي توظيفاً يخدم مشروعه التوسعي، من خلال الحديث عن أهمية بعض دول المنطقة، خاصة اليمن والعراق، في تشكل الدولة المهدوية.

من هنا، يركن النظام الإيراني إلى هذا البعد المذهبي للوصول إلى أهدافه السياسية، ولكن تحت عباءة الطائفية الضيقة

ذاته وكيونته، ومن هنا، يتم العمل على «شيطنة» دول الجوار العربي وتقديمها بصورة سلبية للغاية، تمثل الطرف المقابل للصورة الإيجابية التي يرسمها النظام الإيراني لنفسه، معتمداً في ذلك على إرث ثقافي يمتد إلى قرون يجعل العربي مثالا للسلبية، والإيراني «الفارسي» عنواناً للإيجابية، الأمر الذي يعطي، في هذا الإطار، قوة تدعم سياسة إيران الخارجية في الداخل الإيراني. ولعل الصور التي رفعها أعضاء الحرس الثوري وقوات البسيج «التعبئة» في مظاهراتهم قبل أسابيع أمام السفارة السعودية في طهران من هجوم ثقافي عنيف على العرب وقيام محمد تقي رهبر، خطيب وإمام الجمعة في أصفهان بترديد الشعارات ذاتها، والقصيدة التي كتبها الشاعر القومي الفارسي «مصطفى بادكوبه اي» التي هاجم فيها السعودية والحرمين الشريفين معنونا لها «اترك الحج»، وزعم أن «الله ليس في كعبة العرب»، وأكد أنه «إذا كنت إنساناً، فلا تذهب إلى الحج»، خير شاهد على اللعب على الوتر العدائي تجاه الثقافة واللغة العربيتين.

يذكر أن هذا الشاعر العنصري كان قبل سنوات قد ألقى قصيدة أخرى في مؤسسة ثقافية حكومية في مدينة همدان غربي إيران بعنوان «إله العرب»، أساء فيها إلى الذات الإلهية في حضور عدد من المسؤولين الإيرانيين، كما تهجم فيها على العرب والإسلام.

وبعد أن استعرضنا الجانب القومي، ندلف الآن إلى تحليل البعد المذهبي في إطار السياسة الخارجية الإيرانية. قبل انتصار الثورة كانت إيران دولة شيعية أيضاً، إلا أن البعد المذهبي لم يكن حاضراً في السياسة الخارجية للنظام البهلوي الشاهنشاهي، بل اعتمد على الجانب القومي فقط.

بعد ثورة ١٩٧٩، ووصول الملالي إلى رأس الهرم السياسي والديني في البلاد، استحوذ البعد المذهبي على الصبغة العامة لإيران الحديثة، وتم إطلاق مسمى «الجمهورية الإسلامية» بديلاً للملكية البهلوية.

الشيء الوحيد الذي لم يطرأ عليه أي تغيير يتمثل في

## القومية والمذهبية في السياسة الداخلية الإيرانية

تحرم الحكومة الإيرانية أبناء الأقليات العرقية من حقوقهم اللغوية والثقافية والتاريخية ولا تسمح لهم بالدراسة بلغاتهم الأم، كما ينظر إليهم، في الغالب، كمواطنين من الدرجة الثانية، وتطلق النكت عليهم بسبب ضعف لغتهم الفارسية

في مقال الأسبوع الماضي، استعرضنا البعدين القومي والمذهبي في السياسة الخارجية الإيرانية. في هذا المقال نتطرق لهذين البعدين ولكن على مستوى السياسة الداخلية في إيران. تركز السياسة الإيرانية على بعدين رئيسين: هما البعد القومي والبعد المذهبي. وقد سيطر هذان البعدان على توجهات إيران واستراتيجياتها على المستويين الداخلي والخارجي على حد سواء. هذان البعدان يتم استخدامهما من قبل نظام ولاية الفقيه في إيران لتفادي الاستحقاقات الداخلية من خلال الترويج لنظرية تعتمد على بعبع «العدو المتربص» بالبلاد الذي سوف ينقض عليها إذا لم يتم أخذ كافة الاحتياطات والسبل للتصدي له ودحره بكافة الوسائل.

على مستوى البعد القومي، من المعلوم أن إيران بلد يتكون من أعراق مختلفة وطوائف وأديان متنوعة، فهناك الفرس في وسط إيران ويشكلون قرابة ٥١% من مجموع السكان، ثم الأذريون الأتراك في الشمال الغربي ويعتبرون أكبر الأقليات العرقية في البلاد بنسبة تصل إلى ٢٣% من المجتمع الإيراني، ثم الأكراد في غرب إيران بنسبة ١٠% فاللور في غرب إيران بنسبة ٦%، والعرب في الجنوب والجنوب الغربي بنسبة تقدر بحوالي ٤%، فالبلوش في الشرق والجنوب الشرقي (٢%)، والتركمان في

الشمال الشرقي (٢%) وآخرون بنسبة ٢%. مع التأكيد على أن هذه النسب تختلف من تقرير إلى آخر لعدم وجود إحصائيات رسمية دقيقة في هذا الصدد.

تتركز السلطة في العرق الفارسي أو من تم «فرسنتهم» من الأعراق الأخرى، وهناك منهجية واضحة المعالم تعمل على تغيير التركيبة الديموغرافية في مناطق الأقليات العرقية حتى لا يشكلون أغلبية كبيرة، خاصة في مناطق الأقلية العربية الغنية بالنفط والثروات الطبيعية الأخرى. في البعد القومي، يكون الانتصار في الغالب للعرق الفارسي، كما يكون الانتصار دائماً للانتماء المذهبي أيضاً. بعبارة أخرى، يتم الانتصار للعرق الفارسي على حساب الأعراق الأخرى، كما ينتصر للمذهب الشيعي على بقية الأديان والمذاهب في البلاد. من جانب آخر، تحرم الحكومة الإيرانية أبناء الأقليات العرقية من حقوقهم اللغوية والثقافية والتاريخية ولا تسمح لهم بالدراسة بلغاتهم الأم، كما ينظر إليهم، في الغالب، كمواطنين من الدرجة الثانية، وتطلق النكت عليهم بسبب ضعف لغتهم الفارسية ولهجتهم المتأثرة بلغاتهم الأم. ينعكس ذلك بشكل كبير على تحصيلهم العلمي وبالتالي لا يمكنهم، في الغالب، المنافسة على الوظائف المرموقة في البلاد أو إكمال دراساتهم العليا.

في مقال الأسبوع الماضي، استعرضنا البعدين القومي والمذهبي في السياسة الخارجية الإيرانية. في هذا المقال نتطرق لهذين البعدين ولكن على مستوى السياسة الداخلية في إيران. تركز السياسة الإيرانية على بعدين رئيسين: هما البعد القومي والبعد المذهبي. وقد سيطر هذان البعدان على توجهات إيران واستراتيجياتها على المستويين الداخلي والخارجي على حد سواء. هذان البعدان يتم استخدامهما من قبل نظام ولاية الفقيه في إيران لتفادي الاستحقاقات الداخلية من خلال الترويج لنظرية تعتمد على بعبع «العدو المتربص» بالبلاد الذي سوف ينقض عليها إذا لم يتم أخذ كافة الاحتياطات والسبل للتصدي له ودحره بكافة الوسائل.

على مستوى البعد القومي، من المعلوم أن إيران بلد يتكون من أعراق مختلفة وطوائف وأديان متنوعة، فهناك الفرس في وسط إيران ويشكلون قرابة ٥١% من مجموع السكان، ثم الأذريون الأتراك في الشمال الغربي ويعتبرون أكبر الأقليات العرقية في البلاد بنسبة تصل إلى ٢٣% من المجتمع الإيراني، ثم الأكراد في غرب إيران بنسبة ١٠% فاللور في غرب إيران بنسبة ٦%، والعرب في الجنوب والجنوب الغربي بنسبة تقدر بحوالي ٤%، فالبلوش في الشرق والجنوب الشرقي (٢%)، والتركمان في



المطلقة اعتقادا وممارسة (الثلاثة الأخرى هي: حمل الجنسية الإيرانية، تجاوز سن ١٨ عاما وعدم وجود سوابق جنائية مؤثرة).

وختاما، تمنع السلطات الإيرانية أتباع المذهب السني من بناء مسجد لإقامة الجمع والجماعات في العاصمة طهران على الرغم من وجود أكثر من مليون ونصف سني يقطنون العاصمة، وبالتالي تكون طهران العاصمة الوحيدة في العالم التي لا يوجد بها مسجد لأتباع المذهب السني، رغم أن هناك عددا كبيرا من دور العبادة لأتباع الأديان الأخرى مثل اليهودية والمسيحية والمجوسية.

وبعد أن استعرضنا الجانبين العرقي والمذهبي على المستوى الداخلي، قد يتساءل القارئ الكريم حول ما سيحدث عند حدوث تصادم بين العرق والمذهب؟ أي عندما يكون هنالك طرف شيعي ولكنه غير فارسي، هل يتم الانتصار للمذهب أو العرق؟ في الغالب الأعم يكون الانتصار للعرق على المذهب، كما يحدث للعرب في الأحواز، فانتماؤهم المذهبي للتشيع لم يغفر لهم عند السلطة لأنهم ينحدرون من العرق العربي وهو «الآخر» الثابت «للذات» الفارسية وبالتالي يصبح الاعتقاد بالمذهب واتباع «ولاية الفقيه» عديمي الفائدة تماما.

أما فيما يتعلق بالبعد المذهبي، فقد كان النظام السياسي في إيران خلال الحقبة الشاهنشاهية البهلوية يتبنى النهج العلماني والقومي في معظم سياساته، أما بعد ثورة ١٩٧٩، فقد تم إحلال النهج المذهبي محل ذلك، ونص الدستور للبلاد على الصبغة المذهبية من خلال التأكيد على أن البلاد تتخذ من المذهب الشيعي الإثني عشري منهجا لها. بعبارة أخرى، أقصى الدستور الإيراني الأقليات الدينية والمذهبية في البلاد، وبالتالي فلا يحق لأي من أتباع غير المذهب الشيعي الإثني عشري الوصول إلى المناصب العليا في البلاد سوى كانت تشريعية أو قضائية أو تنفيذية، تعيينا أو انتخابا.

من جانب آخر، يتم التضييق على أتباع المذهب السني في البلاد ولا يتم تصنيفهم من بين الأقليات الدينية، بحيث يحصلون على مقاعد ثابتة في البرلمان الإيراني أسوة باليهود والمسيحيين والمجوس. من هنا، يعاني أتباع المذهب السني من خلط النظام بين التوجهات السياسية والانتماء المذهبي، بحيث يتم صبغ جميع أنشطة أتباع المذهب بالصبغة المذهبية عند مطالبتهم بحقوقهم السياسية والثقافية ويتم إلصاق تهم «نشر الوهابية» بهم بين الفينة والأخرى، على الرغم أن المطالب لا علاقة بها بالانتماء المذهبي. علاوة على ذلك، فمن يطلع على شروط وضوابط الحصول على منحة دراسية خارجية أو الحصول على وظيفة أكاديمية في الجامعات الإيرانية أو التوظيف في القطاع العسكرية يجد أن أول شروط ذلك هو «الإيمان بولاية الفقيه اعتقادا وممارسة» وهو ما نصه في اللغة الفارسية «اعتقاد والتزام عملي به ولايت فقيه». يستثنى من هذا الشرط أتباع الأديان الأخرى، مثل المسيحيين واليهود والزرادشتين (المجوس) أما أتباع المذهب السني فلا يعتبرون أقلية دينية وبالتالي هم المتضرر الأول من هذا الشرط المذهبي الأيديولوجي. أما فيما يتعلق بعمل ونشاط التيارات والجماعات السياسية في البلاد وشروط تأسيس حزب أو العضوية فيه فقد حددها مجلس الشورى الإيراني (البرلمان) بوجوب تحقق أربعة شروط رئيسة أولها الإيمان بولاية الفقيه

## القوة الخليجية الناعمة إلى أين؟!

نحن بحاجة إلى قنوات تلفزيونية إخبارية وحوارية رزينة واحترافية،  
ناطق بلغات مختلفة كالإنجليزية والإسبانية والتركية والفارسية،  
لننقل مواقفنا ووجهة نظرنا إلى «الآخر»

على وجه الخصوص، هناك عدد ضئيل جدا من المثقفين والنخب الفكرية الخليجية يغرد باللغات الأجنبية حول قضاياها. نحن في الوقت الراهن نتحدث إلى أنفسنا عبر القنوات الكثيرة والمتنوعة التي تبث باللغة العربية. هنا نحتاج أن نسأل أنفسنا سؤالاً محدداً: هل نحن، فعلاً، بحاجة إلى إقناع أنفسنا بسياساتنا ومواقفنا من الأحداث التي تعصف بالمنطقة؟ الإجابة بطبيعة الحال بالنفي. الأهم أن ننقل ذلك إلى الطرف الآخر، ونكشف عملنا الإعلامي من أجل إيصال وجهة نظرنا ليس إلى المسؤولين الغربيين بالدرجة الأولى، بل إلى النخب المثقفة وكتاب الرأي والمحللين السياسيين هناك.

على صعيد آخر، نحن غائبون، أو مغيبون، عن بيوت الخبرة ومراكز الدراسات الاستراتيجية في الشرق والغرب. الأمر ذاته ينطبق أيضاً على موضوع التأليف والنشر العلمي باللغات الأجنبية، فلا تكاد تجد باحثاً خليجياً ينشر ورقة بحثية رصينة تلقي الضوء على جوانب سياسية وثقافية وتاريخية وأدبية مضيئة ليس لها ذكر في المؤلفات الغربية. هذه المراكز، وتلك المجلات والدوريات، تلعب دوراً محورياً ومهماً في صياغة التوجهات والمواقف السياسية للحكومات، ووجود ثلة من أبنائنا في تلك المراكز البحثية، وما يصدر عنها من نتاج بحثي، يخدم

يتسم القرن الحالي بالتركيز على إثبات الوجود والتسويق له بمختلف الوسائل، خاصة في ظل الثورة المعلوماتية الهائلة التي يشهدها العالم. كل برنامج تلفزيوني، أو مهرجان ثقافي، أو مؤتمر علمي، يبحث عن داعمين وممولين، وفي المقابل يتم إبراز الجهات الداعمة والراعية لهذا النشاط أو ذاك نظير ما تقدمه من دعم.

تمتلك دول الخليج العربي المقومات السياسية والاقتصادية كافة لإيصال صوتها وموقفها بقوة إلى دول العالم إلا أن ذلك لم يتحقق بالصورة المأمولة التي تليق بمكانة هذه الدول، وبالتالي تحتاج -من وجهة نظري- إلى رسم استراتيجيات جديدة في هذا الصدد، واستثمار الثورة الإعلامية والتقنية على أكمل وجه. أين نحن، على سبيل المثال، من الإعلام الغربي من صحافة وتلفزيون؟ كم مسؤولاً وسياسياً خليجياً يقدم مداخلته في برامج تلك القنوات أو يكتب مقالاً يبرز من خلاله الموقف الخليجي تجاه القضايا الساخنة؟ الأمر الذي ينعكس على توجه الرأي الغربي والصورة النمطية لدولنا. من جانب آخر، نحتاج إلى قنوات تلفزيونية إخبارية وحوارية رزينة واحترافية، ناطقة بلغات مختلفة كالإنجليزية والإسبانية والتركية والفارسية، لننقل مواقفنا إلى ذلك «الآخر»، بل حتى على مستوى وسائل التواصل الاجتماعي، وتويتر

لبلدانهم، ومشاركاتهم في المؤتمرات العلمية والثقافية والأنشطة المختلفة تقدم رسائل تسهم كثيرا في نقل صورة تمثل واقع البلدان الخليجية.

شخصيا، أرى أن وقوف دول الخليج العربي عند هذا الجانب ليس بالمستوى المأمول، مما يتيح للطرف الآخر -بغض النظر عن هويته- مساحة واسعة ليسوّق لنفسه على حساب دولنا، وربما يبرزها بصورة سلبية في إطار «سياسة شيطنة الخصوم»، وتكرار هذه الشيطنة في بعض المؤتمرات والندوات التي تتحدث بشكل أو بآخر عن الصراعات السياسية في المنطقة، يقود إلى خروج هذه الملتقيات بصورة أحادية غالبا ما تفتقد للمصداقية والحيادية.

ختاما، لا ينبغي إغفال أهمية المشاركة الشعبية والعمل التطوعي في وسائل التواصل الاجتماعي، باعتبار هذه المشاركة تعتمد على الشباب، خاصة من يجيد منهم لغة أجنبية، فذلك كفيل بأن يوصل عبر تلك الرسائل صوتهم إلى المخاطبين بشكل مباشر.

همسة: غيابك يضر بك وينفع خصومك ومنافسيك فضلا عن أعدائك، فكن حاضرا

مصالح دولنا ويسهم في ضمان حضور الصوت الخليجي، ويصحح المفاهيم الخاطئة أو المضللة عن هذه الدول التي تسعى بعض قوى الضغط (اللوبيات) لدول إقليمية إلى الترويج لها بدوافع بعيدة تماما عن المنهج البحثي الرصين، ومن ثم تؤثر تلك التوجهات السياسية، بشكل مباشر أو غير مباشر، على السياسات الغربية التي تعتمد بمستويات مختلفة على الرؤى والاستراتيجيات التي تقدمها تلك المراكز البحثية.

قصور آخر نجده، مع الأسف الشديد، في التعاطي مع الأقسام التي تدرس اللغة العربية وآدابها. أين نحن من تنظيم زيارات لبعض طلاب وأساتذة أقسام الدراسات الشرق أوسطية في الجامعات الغربية الذين يرغب ويتمنى بعضهم -ومن واقع تجربة شخصية- زيارة دول الخليج العربي، خاصة المملكة العربية السعودية؟ وفي الوقت الراهن، وفي ظل ما يعرف بـ«الربيع العربي» يواجه طلاب دراسات اللغة العربية مشكلات حقيقية تتمثل في وجود دولة عربية مناسبة تستضيفهم في منطقة الشرق الأوسط للمكوث بعض الوقت، لتحسين تحصيلهم اللغوي وإلمامهم بالثقافة العربية، وأعتقد أن الفرصة سانحة حاليا لدول الخليج العربي لاقتناصها واستثمارها مما ينصب في تغيير الصور النمطية التي رسخت في عقولهم عن دولنا، وما وجود أولئك على أرض الواقع إلا كفيل بتغيير تلك الصور المشوهة البعيدة عن الواقع.

نتساءل أيضا عن الدور الذي تقوم به الملحقيات الثقافية والأقسام الثقافية في السفارات الخليجية في الخارج، فما نتوقعه منها القيام بتنظيم مؤتمرات وندوات ذات جوانب وتخصصات متعددة، يلقيها أو يشارك فيها متحدثون متخصصون قادمون من دولنا. لا يعني ذلك أن يتحدث هذا الضيف عن بلاده بصورة نموذجية وكأنها مدينة أفلاطون الفاضلة، بل يكون الطرح أكثر موضوعية وواقعية، مع إبراز الجوانب التي قد تكون غائبة في الإعلام المحلي للبلد المستضيف. ولا ننسى أيضا، دور الطلبة المبتعثين للخارج؛ فهم سفراء



## انحسار الطبقة الوسطى في إيران

في إيران؛ أصبح بعض أبناء الطبقة الوسطى، وبخاصة في العاصمة طهران، يفكرون جديا في بيع منازلهم وقطع السجاد التي يمتلكونها، والانتقال إلى أحياء فقيرة في جنوب العاصمة

قيد الإقامة الجبرية، حيث نجح المؤيدون للحركة الخضراء في كسب هذه الطبقة بشكل ملفت ونظم التجار إضرابا عاما خاصة في السوق الكبير (بازار بزرگ) في طهران وسيروا مظاهرات ومسيرات تندد بنتائج الانتخابات الرئاسية التي رأوا أنها تعرضت للتزوير.

في مقابل ذلك، عمل نظام الملالي على إيجاد طبقة وسطى جديدة من الحرس الثوري الذي يسيطر على مفاصل الاقتصاد الإيراني والبسيج والشخصيات الموثوقة والمتنفذة في دوائر النظام، كما تم استهداف الميسورين والمؤثرين اجتماعيا من خارج دائرة النظام السياسي والتضييق عليهم، إلا أن الصعوبات الاقتصادية التي مرت بها إيران منذ ٢٠٠٩ وبخاصة الانهيار الكبير للعملة الإيرانية أمام العملات الصعبة أدت إلى تآكل الطبقة الوسطى بشكل غير مسبوق. فخلال السنوات الست الماضية تم تحويل معظم المنتمين إلى الطبقة الوسطى إلى فقراء، بل إن بعضهم أصبح يعيش تحت خط الفقر وتم إغلاق الكثير من المصانع والمعامل بشكل كامل أو جزئي وتسريح الكثير من الموظفين، الأمر الذي أدى إلى المزيد من الضغط على الطبقة الوسطى اقتصاديا واجتماعيا، وبالتالي فقدت قوتها وتأثيرها في الشارع الإيراني. ومن شواهد اضمحلال وسحق الطبقة الوسطى

لعبت الطبقة الوسطى في المجتمع الإيراني دورا بارزا في إنجاح ثورة ١٩٧٩، فقد تضامنت مع بقية شرائح المجتمع الإيراني خلال سبعينات القرن الماضي وساهمت في قيادة المجتمع نحو الإطاحة بالنظام وتحريك الطبقة المثقفة من أساتذة وطلاب الجامعات والنخب الفكرية.

لقد ساهمت طبقة البازار (التجار) في ذلك أيضا من خلال دعم المتظاهرين ورجال الدين بالأموال، وكذلك أعلنوا في أكثر من مناسبة إضرابا شاملا شل الحركة التجارية والحياة العامة في البلاد مما شكّل ضغطا كبيرا على نظام الشاه الأمر الذي ساهم، إضافة إلى عدة جوانب أخرى، في إسقاط النظام الملكي في إيران. بعد الثورة، أدرك النظام الجديد مدى قوة هذه الطبقة وخطورتها والتهديد الذي تشكله على استمرار نظام الجمهورية الإسلامية وبخاصة في ظل عدم الوفاء بالتعهدات والوعود التي قطعها النظام على نفسه خلال الثورة وبعدها.

عمل النظام الحاكم بشكل منظم على انحسار وتفتيت هذه الطبقة منذ انتصار الثورة وازداد اليقين بضرورة التخلص منها بعد الأحداث التي أعقبت نتائج انتخابات ٢٠٠٩ التي منحت الرئيس أحمددي نجاد دورة ثانية كرئيس للبلاد على حساب زعيم الحركة الخضراء مير حسين موسوي ومهدي كرويي اللذين لا يزالان يقبعان



إن وطأة العقوبات وانهيار العملة جعلوا المواطن يطمح إلى وصول إيران ومجموعة ١+٥ إلى اتفاق شامل بشأن برنامج إيران النووي، وهذا يفسر مدى الفرح والابتهاج اللذين أبداهما المواطنون الإيرانيون في بداية شهر أبريل الماضي إثر إعلان التوصل إلى اتفاق على الإطار العام للاتفاق النووي، بأمل تحسن مستواهم المعيشي وعودة الحياة إلى أنشطتهم التجارية وتعويض بعض الخسائر التي تكبدوها طيلة السنوات القليلة الماضية، واستعادة جزء من دورهم في الحياة السياسية والاجتماعية في البلاد، وليس طمعا في حصول بلادهم على السلاح النووي أو حتى حق تخصيص اليورانيوم كما يروج النظام لذلك الحاكم في طهران

تقدم أكثر من ٩٠٪ من الشعب الإيراني للحصول على المعونة الحكومية الزهيدة، الأمر الذي جعل النظام في موقف محرج قاده إلى ما أطلق عليه استبعاد «الأثرياء» من هذه القوائم. من جانب آخر، يلحظ المتابع للشأن الإيراني انخفاض معدلات دخل بعض العائلات التي كانت في وضع اقتصادي جيد إلى قرابة ٥٠٠ دولار (١٨٠٠ ريال سعودي تقريبا) شهريا، فاضطر الكثيرون منهم إلى تغيير النمط المعيشي كما أصبح بعض أبناء الطبقة الوسطى، وبخاصة في العاصمة طهران، يفكرون جديا في بيع منازلهم وقطع السجاد التي يمتلكونها والانتقال إلى أحياء فقيرة في جنوب العاصمة. من جانب آخر، قاد انهيار العملة وزيادة العبء على رجال الأعمال الكثيرين منهم إلى اللجوء للتحايل والغش التجاري في المطاعم والأسواق ونحو ذلك، بسبب عدم قدرتهم على رفع الأسعار بشكل يتوافق والتكلفة الجديدة، إضافة إلى إدراكهم جيداً أن المواطنين لا يستطيعون اقتناء تلك البضائع وبخاصة المستورد منها بسبب ارتفاع أسعارها. من جانب آخر، اتجه الزبائن إلى السلع الوطنية مثل الأجهزة الكهربائية والملابس رغم رداءة الجودة، مما سبب كسادا اقتصاديا في بعض القطاعات التجارية في البلاد.

إلى جانب ذلك كله، ضاعفت الحكومة الإيرانية، السابقة والحالية، من معاناة المنتسبين إلى هذه الشريحة من المجتمع الإيراني، حيث يطالب بعض رجال الأعمال الحكومة بمستحقات إزاء تنفيذ بعض المشاريع للدولة إلا أن العجز الكبير في الميزانية الإيرانية وعدم وجود رغبة حقيقية من قبل النظام في سداد الدين العام، حالا دون حصولهم على حقوقهم، وبالتالي تعثر نشاطهم التجاري، وأصبح رجال الأعمال هؤلاء تائهون بين أروقة الإدارات الحكومية بسبب رفض الحكومة الحالية الالتزام بتخبطات حكومة الرئيس السابق محمود أحمدني نجاد في سياسته الاقتصادية خاصة بعد فضائح الاختلاس من قبل رجالات أحمدني نجاد والمقربين منه التي بدأت تتكشف شيئا فشيئا.

## كسر حاجز الصمت في لبنان والعراق

هل ستكون لبنان بعيدة عن انعكاسات تدخلات «حزب الله» في سورية واحتمالية نقل المعركة إلى الداخل اللبناني؟ وهل سيبقى العراق بشيعته وسنته، عربيه وكرده، صامتا تجاه التدخلات الإيرانية الصارخة في شؤون بلاده الداخلية؟

الدور الإيراني في لبنان والمنطقة، فقد أكد وزير الداخلية اللبناني نهاد المشنوق أن تدخل الميليشيات الشيعية التابعة لإيران في الدول العربية يزيد الخلل المذهبي في المنطقة، وأضاف أن هناك خلا مذهبيا يكبر في المنطقة من سورية إلى العراق إلى اليمن، ويكون أكثر اشتعالا بسبب تدخل ميليشيات مذهبية ضمن المشروع الإيراني، حيث تظهر تداعياته في لبنان، مؤكدا على أن قائد الحرس الثوري الإيراني اعترف بتدخل إيران في سورية واليمن ضمن توسيع منطقة الهلال الشيعي بالمنطقة، مبينا أن مشروع إيران لا يترجم إلا بمزيد من الاحتقان المذهبي وانهيار مرتكزات الاعتدال ومزيد من جنوح الناس نحو خيارات لا تشبه تاريخها. واختتم المشنوق تصريحاته بالتطرق إلى ما سماه «القمر العربي» وأنه سوف ينتصر في بيروت ودمشق وبغداد وصنعاء على الهلال الإيراني مهما طال الزمن. يدرك اللبنانيون -وبتلك التجربة المريرة التي عاشتها لبنان في ثمانينات القرن الماضي- أن الدور الذي تلعبه طهران في المنطقة لا يجلب سوى الدمار والخراب، ونماذج العراق وسورية واليمن شواهد ظاهرة وجلية على ذلك، فماذا تحقق من وراء تلك التدخلات؟

أصبحت النظرة العربية إلى الدور الإيراني في الشرق الأوسط شبه متطابقة في الغالب رغم وجود بعض الاستثناءات البسيطة المفهومة أسبابها ودوافعها. فمنذ ثورة ١٩٧٩، تنتهج إيران سياسية عدائية تارة، وتخريبية تارة أخرى، تجاه الدول العربية، مستندة في ذلك على استراتيجية مذهبية مدفوعة بشيوعية قومية، تعتمد على نظرة استعلائية تجاه دول الجوار العربي، حكومات وشعوبا، شيعة وسنة، إلى جانب طموح لبسط النفوذ والهيمنة، مستخدمة في ذلك أذرعها الأيديولوجية والسياسية والعسكرية وشبه العسكرية في الداخل العربي.

كانت لبنان، ولا تزال، إحدى الدول التي عانت كثيرا من التدخلات الإيرانية على المستوى السياسي عبر نافذة حركة أمل، والمستوى الميليشي متمثلا في حزب الله اللبناني، وقد أدت هذه التدخلات إلى تجاذبات سياسية بين مكونات المجتمع اللبناني (سنة، شيعة، مسيحيون)، وها نحن نشهد منذ أكثر من عام فراغا سياسيا هناك يتمثل في عدم التوافق على رئيس للجمهورية اللبنانية.

مؤخرا، خرجت أصوات لبنانية جريئة، تنتقد صراحة

العربي بأسره؟ ولماذا يتم السماح باختطاف المذهب الشيعي من قبل إيران؟ يؤكد المرجع الديني آية الله السيد الصرخي أن التمدد الإيراني لن يتوقف عند حدّ ما دامت الدول والشعوب مستكينة وخاضعة ولا تملك العزم والقوة والقرار للوقوف بوجه الغزو والتمدد القادم الفاتك بهم، موضحاً أن السياسة والحكم التسلطي والمشاريع الإمبراطورية التوسعية الإيرانية تفعل كل شيء وتقلب كل الحقائق من أجل الحفاظ على وجودها وتسلطها وتنفيذ مشاريعها. من هنا، نجد أن تصريحات المشنوق والحسيني والصرخي قد تكون سبباً في يقظة الكثيرين في الداخل اللبناني والعراقي، وتمثل نبراساً للمزيد من المواقف الوطنية والقومية في هاتين الدولتين العربيتين تجاه المخطط الذي تعمل إيران على تنفيذه تجاههما، وبخاصة إقحام تنظيم حزب الله في الصراع السوري وتلطيخ أيدي عناصره بدماء الشعب السوري المكشوف، فهل سينسى السوريون ذلك؟ وهل ستكون لبنان بعيدة عن انعكاسات هذه التدخلات واحتمالية نقل المعركة إلى الداخل اللبناني؟ وهل سيبقى الشعب العراقي بشيعته وسنته، عربيه وكرده، صامتا تجاه التدخلات الإيرانية الصارخة في شؤون بلاده الداخلية؟ الخلاصة، تحتاج هذه الدول، رسمياً وشعبياً، إلى استشعار حقيقي لخطر التدخلات الإيرانية ومآلات ذلك داخليا وإقليمياً.

وماذا استفادت شعوب تلك الدول من تدخلات إيران سوى الخراب والدمار؟! في هذا الصدد يقول المتحدث باسم المجلس الإسلامي في لبنان، الشيخ محمد الحسيني إن إيران تستخدم الشيعة في لبنان، وسورية والعراق واليمن أدوات وجسورا، لتعبر بهم إلى مبتغاهما وتبسط نفوذها على دولهم، دون إعطاء قيمة للشيعة العرب، مهما أسدوا لها من خدمات. وكرر مطالبته للشعب العراقي بمكونيه السني والشيعي بأن يتوحدوا في مقاومة ما أسماه الاحتلال الإيراني قائلا: «في العراق إيران هي المحتلة، إيران هي من تحتل العراق وليس الشيعة». تصريحات الحسيني هذه تؤكد أيضاً على أن العراق يحتاج إلى صحوه سياسية وشعبية في وجه الأطماع الإيرانية، وبخاصة أن مستشار الرئيس الإيراني علي يونسي كان قد صرح قبل بضعة أشهر بمخطط بلاده تجاه العراق عندما قال إن «جغرافية إيران والعراق غير قابلة للتجزئة، وثقافتنا غير قابلة للتفكيك، وإيران أصبحت إمبراطورية كما كانت سابقا وعاصمتها بغداد، وهي مركز حضارتنا وثقافتنا وهويتنا اليوم كما كانت عبر التاريخ». هذه التصريحات الرسمية الإيرانية تتطابق مع المشروع الإيراني تجاه العراق وقد شرعت في ذلك على أرض الواقع منذ عام ٢٠٠٤، لذا نجد اليوم أن أتباع إيران في العراق يسيطرون على البلاد إلى درجة التحكم في سياساتها الداخلية والخارجية والأجهزة الأمنية، وأبعدت العراق عن حضنها العربي وانتمائها القومي.

يقول المتحدث باسم المجلس الإسلامي في لبنان الشيخ محمد الحسيني إن المخابرات الإيرانية هي من تتحكم في مكتب المرجع الشيعي علي السيستاني، وتقوم بإصدار الفتاوى التي تصب في مصلحتها من مكتبه ودون علمه. والسؤال هنا: أين المرجعية الشيعية العربية من المشهد الشيعي في العراق بل والوطن

## الاتفاق النووي.. خطة أم ورطة؟

تنازلات إيران حيال برنامجها النووي، وإن كانت مؤقتة، ستشجعها في الغالب على مزيد من التدخلات في الشؤون الداخلية لدول المنطقة، فجميع أذرع طهران تنتظر حصتها من المئة مليار دولار التي سيتم الإفراج عنها

فنحن نشهد تحولاً تاريخياً في العلاقات الدولية خاصة بين طهران والعالم. أما فيما يتعلق بالشارع الإيراني فإنه سيحتفل خلال الأشهر القادمة بالتوصل لاتفاق ولكن هذا الاحتفال ليس بسبب الحقوق النووية أو تفاصيل البرنامج النووي الإيراني التي يروج لها النظام، بل لأنه يأمل حقيقة في تحسن وضعهم المعيشي والحصول على وظيفة وانخفاض نسب التضخم في الأسعار وتدني الأجور.. إلخ، ولا شك أن الشعب الإيراني يستحق العيش في ظروف أفضل إلا أن النظام السياسي، ومع الأسف الشديد، لن يكثر كثيراً بطموحات هذا الشعب وتطلعاته ولن ينعكس رفع العقوبات ووصول الأموال المجمدة إلى الخزينة الإيرانية على حياة المواطنين، وبالتالي قد يجد المواطن البسيط أنه كما يقول المثل الشامي «خرج من المولد بلا حمص». يقول أحد الإيرانيين لمراسل «نيويورك تايمز» الأميركية في طهران: «تفاصيل الاتفاق لا تهمني كثيراً، الأهم أن أملك بطاقة صراف بنكية يمكنني استخدامها خارج إيران». هذا التصريح يعكس حقيقة تطلعات الشارع الإيراني. وهذا ربما يعبر بوضوح عن آمال الإيرانيين من فترة ما بعد الاتفاق.

على الساحة السياسية الإيرانية سيبدأ الصراع الأيديولوجي والسياسي سريعاً بعد هدوء العاصفة وسنشهد كثيراً من

بعد ١٨ يوماً من المفاوضات المتواصلة وأربع حالات لتمديداتها تم الإعلان رسمياً يوم الثلاثاء الماضي عن التوصل لاتفاق بين إيران ومجموعة ١+٥ بشأن البرنامج النووي الإيراني. الاتفاق يحتاج إلى قرابة ستة أشهر ليتم تنفيذه على أرض الواقع، كما ينص الاتفاق على إعادة العقوبات خلال ٦٥ يوماً إن لم تلتزم إيران بالاتفاق ويحق لأي دولة من الأعضاء في المفاوضات إعادة العقوبات متى ما رأت أن طهران قد خرقت بنود الاتفاق.

سيكون هناك اتفاق منفصل بشأن موقع «بارتشين» في إيران، وهذا يعني أن إيران قد تراجعت عن بعض خطوطها الحمراء المتمثلة في عدم السماح بتفتيش المواقع العسكرية. كذلك يحق للوكالة الدولية مقابلة من تشاء متى وكيفما أرادت وسيتم تفتيش جميع المواقع النووية الإيرانية ولكن ليس بشكل مفاجئ، بل باتفاق بين الطرفين على وقت التفتيش بحيث يتم خلال أربعة عشر يوماً من تقديم الطلب، وإذا ما تم مقارنة هذا بالتصريحات السابقة من الجانبين الإيراني والغربي فإن هذا يعني «الالتقاء منتصف الطريق».

وزير الخارجية الإيراني محمد جواد ظريف وصف الاتفاق بأنه «ليس مثالياً ولكنه يفتح صفحة جديدة في العلاقات» والأمر ذاته تكرر في كلمة الرئيس روحاني، وهذا صحيح



يكون الطريق مفتوحاً أمام إيران لاستئناف مشروعها نحو إنتاج السلاح المحظور. من المكاسب المهمة التي ستنتجها إيران في تحقيقها عند تنفيذ الاتفاق إلغاء العقوبات الصادرة ضدها من الأمم المتحدة ومجلس الأمن الدولي، تحت الفصل السابع، وهي بالتالي تراهن على صعوبة إعادة فرضها مجدداً حتى وإن قامت بخرق الاتفاق، نظراً للظروف السياسية التي يشهدها العالم والتوتر في العلاقة بين موسكو وواشنطن، ما قد يقود في المستقبل إلى استخدام روسيا وربما الصين أيضاً حق النقض «فيتو» ضد أي مشروع غربي لفرض عقوبات على إيران تحت البند السابع.

الخلاصة الأهم، في نظري، ليست بنود الاتفاق التي تم نشرها على الإنترنت والتي في الواقع تؤكد تجميد البرنامج النووي الإيراني بشكل أو بآخر، ولكن ما لم ينشر وربما لن ينشر مطلقاً من تفاصيل حقيقة الاتفاق التي ستكون الأيام القادمة كفيلاً بإبرازها على الواقع. الاتفاق قد يكون فرصة حقيقية لمستقبل أفضل في المنطقة، خاصة إذا ما ضمن سلمية البرنامج النووي وتحول النظام في طهران من سلوك الثورة إلى نمط الدولة الطبيعية، إلا أن المؤشرات تقود إلى واقع أن تنازلات إيران حيال برنامجها النووي، وإن كانت مؤقتة، ستشجعها في الغالب على مزيد من التدخلات في الشؤون الداخلية لدول المنطقة وستزيد من دعمها المالي للنظام السوري وحزب الله وغيرها، فجميع أذرع إيران في المنطقة تنتظر حصتها من المئة مليار دولار التي سيتم الإفراج عنها، ولا بد على دول المنطقة التفكير جدياً في التصدي لأي تهور إيراني محتمل في المستقبل القريب، ومع ذلك كله قد تقود النشوة الإيرانية إلى كثير من المصاعب على المستوى الداخلي، خاصة إذا ما كان هناك انفتاح كبير على العالم الغربي، والأيام القادمة حبل بال مفاجآت

الانتقادات للاتفاق في الداخل الإيراني، فهناك قوى في الداخل الإيراني لها ثقلها بل تعد أقوى من الحكومة الإيرانية الراهنة ستخسر الكثير وبالتالي ترى الانفتاح على الغرب يشكل خطراً حقيقياً على صورة النظام وثوابته وأساسه الثورية وربما استمراريته، كذلك سيكون الحرس الثوري أشد المتضررين لخسارة أهم موارده المالية المتمثلة في تهريب النفط والبضائع من وإلى إيران. وعلى الجانب الأمريكي، تتجه الأنظار إلى موقف الكونجرس من الاتفاق وهل سيؤيد ذلك أو يقول كلمته في هذا الخصوص، خاصة أن الحزب الجمهوري لا يؤيد الطريقة التي تتعامل بها إدارة أوباما مع الحالة الإيرانية وترى في ذلك اندفاعاً أمريكياً غير مبرر نحو إيران. الرئيس أوباما كان صريحاً في كلمته بعد إعلان الاتفاق بأنه سيستخدم حق النقض ضد أي محاولات من الكونجرس لرفض الاتفاق، بينما نجد وزير خارجيته متفائلاً بشأن موقف إيجابي من الكونجرس.

وفيما يتعلق بإمكانية تطبيق الاتفاق بشكل دقيق، ستواجه الوكالة الدولية للطاقة الذرية صعوبات كبيرة في مراقبة الأنشطة النووية الإيرانية نظراً لمساحة البلاد الشاسعة ومقرس النظام الإيراني في خرق الاتفاقات والمواثيق الدولية والتملص منها. نعم يقول الرئيس الأمريكي إننا ملتزمون بمراقبة النشاط الإيراني وإن جميع الخيارات ستكون على الطاولة في حال خرقت إيران هذا الاتفاق وتحدث عن تجريد إيران من ٩٨% مما تملكه من اليورانيوم المخصب وكذلك وضع قيود قاسية على المنشآت النووية الإيرانية كتجميد تخصيب اليورانيوم في موقع «فوردو» النووي لمدة ١٥ عاماً، وكذلك حصر التخصيب في موقع «نطنز» بنسبة ٣,٦% للمدة ذاتها، وكذلك قصر التخصيب على أجهزة الطرد المركزي من نوع IR١ وهي قديمة جداً. كذلك تخفيض عدد أجهزة الطرد المركزي بواقع الثلثين طيلة مدة الاتفاق. هذه التفاصيل تؤكد على أن هدف الإدارة الأمريكية تجميد الأنشطة النووية الإيرانية التي قد تسهم في الوصول إلى إنتاج السلاح النووي لمدة ١٥ عاماً، وبعد ذلك

## أهداف الاتفاق النووي ومآلاته

تحتاج دول المنطقة العربية إلى العمل على حماية مصالحها وإفشال أي مخططات تستهدفها على المستويات الأمنية والسياسية والاستراتيجية من خلال اتخاذ الخطوات اللازمة كافة وبناء علاقات وطيدة وتحالفات مع قوى دولية أخرى

أيضا نظرية المؤامرة، والتزمنا بتحليل الاتفاق كما تم الإعلان عنه وأنه بالفعل حول البرنامج النووي الإيراني فقط دون أي مخططات سياسية أخرى، فيمكننا قراءة الاتفاق عبر بعض «السيناريوهات» لأهداف الجانبين الغربي والإيراني من وراء هذا الاتفاق بطريقة أكثر دقة؛ واستعراض الاحتمالات الممكنة كافة في هذا الصدد. يمكننا حصر أهم احتمالات أهداف الغرب من وراء الاتفاق مع إيران في أربعة سيناريوهات رئيسة: السيناريو الأول، يتمثل في خيار احتواء البرنامج النووي الإيراني. هنا قد تكون القوى الغربية وصلت إلى قناعة أن إيران قد قطعت شوطا طويلا في طريقها نحو دخول النادي النووي تسليحا، وأن الحل الأمثل في ظل هذه المعطيات يتمثل في إبطاء التقدم الإيراني في تخصيب اليورانيوم بنسب مرتفعة وتطوير أجهزة الطرد المركزي وأعدادها وتقنية المياه الثقيلة. السيناريو الثاني، يتمحور حول مدى إدراك الغرب بحقيقة البرنامج النووي الإيراني؛ لذا وللحصول على مزيد من المعلومات حول هذا البرنامج ومدى تطوره ومزاعم سلميته، رأت مجموعة ١+٥ والولايات المتحدة الأمريكية أن معرفة مدى تقدم برنامج إيران النووي هذا لا يظهر إلا من خلال الحوار والنقاش مع إيران وربما الوصول

بعد التوصل إلى اتفاق بين إيران ومجموعة ١+٥ بشأن الملف النووي الإيراني، كثرت التكهّنات حول أبعاد هذا الاتفاق الذي وصفه الجانبان بالتاريخي وانعكاساته السياسية والاقتصادية والاستراتيجية على منطقة الشرق الأوسط، وتوقع كثيرون وجها جديدا للمنطقة من خلال إعادة دمج إيران في المجتمع الدولي بعد عزلة استمرت عقودا من الزمان بسبب الشكوك حول طبيعة برنامجها النووي والأهداف العسكرية من وراء ذلك.

يعتقد البعض أن هذا الاتفاق الذي صادق عليه مجلس الأمن والاتحاد الأوروبي ليس محصورا بحدود أنشطة البرنامج النووي الإيراني، وأن ذلك مجرد مظلة مرتفعة جدا لما هو أبعد من ذلك بكثير ويصل إلى إعادة رسم لخريطة التحالفات والتكتلات السياسية والاقتصادية للدول الغربية في المنطقة؛ وتوطيدا للصراع الطائفي في المنطقة ستكون طهران من خلاله لاعبا رئيسا وأداة جديدة للقوى الإمبريالية في المنطقة العربية. بل إن هناك من ذهب إلى أبعد من ذلك من خلال الاعتقاد بأن هناك مشروعا غربيا جديدا يعيد رسم حدود المنطقة وأطلقوا عليه «سايكس بيكو ٢»، خاصة ونحن نعيش ذكرى مرور قرن من الزمان تقريبا على اتفاقية «سايكس بيكو» الأولى. وإذا ما تجاوزنا هذه القراءات لطبيعة الاتفاق، وتجاوزنا

على المكشوف وليس من تحت الطاولة ووضع حد للمكاسب التي تحققها تلك الدول من وراء هذا العداء. السيناريو الثالث: يعتقد بأن إيران تخطط لمسايرة الغرب مؤقتاً؛ حتى يتم رفع العقوبات المفروضة عليها من قبل مجلس الأمن الدولي وتحت البند السابع التي قد يصعب فرضها مجدداً متى ما أخلت بنود الاتفاق، وكذلك تحصل على أموالها المجمدة في الغرب وتقوم بشراء مزيد من الأسلحة المتقدمة في مجال الطيران المدني والحربي، وتتغلب اقتصادياً، خاصة في ظل الصعوبات المالية وانهيار العملة وتراجع أسعار النفط، وبالتالي ستسحب من الاتفاق بعد تحقق هذا الهدف وقد يكون ذلك بعد الانتخابات الرئاسية المقبلة التي قد يوصل فيها المرشد شخصية أصولية تتكفل بهذه المهمة.

شخصياً، أعتقد بأن السيناريو الأكثر احتمالاً من بين السيناريوهات المذكورة يتمثل في التوقعين الثالثين للجانبين الغربي والإيراني المشار إليهما أعلاه، وقد تميل إيران خلال الفترة المقبلة إلى تنفيذ بعض الأدوار التي تتناغم مع التوجهات الغربية تجاه المنطقة وتتقاطع مع المصالح والاستراتيجيات الإيرانية.

في جميع الأحوال، سيكون المشهد أكثر وضوحاً بعد تطبيق الاتفاق على الأرض، ولكن تحتاج دول المنطقة العربية العمل على حماية مصالحها وإفشال أي مخططات تستهدفها على المستويات الأمنية والسياسية والاستراتيجية من خلال اتخاذ الخطوات اللازمة كافة لذلك، وبناء علاقات وطيدة وتحالفات مع قوى دولية أخرى.

ختاماً، قد تختلف استنباطات القارئ الكريم وتحليلاته لهذا الاتفاق ودوافعه مع القراءة التي تم استعراضها في هذا المقال، ويسعدني قراءة وجهة نظركم حيال الاتفاق ومآلاته

إلى بعض المواقع الحساسة المرتبطة بالبرنامج النووي والتصنيع العسكري.

السيناريو الثالث، يعتقد بأن الدول الغربية قد توصلت إلى قناعة بأن إيران تمثل الحليف المثالي لها في منطقة الشرق الأوسط المضطرب منذ أحداث ما يعرف بـ«الربيع العربي» وظهور العديد من التنظيمات الإرهابية التي تزعم انتسابها للمذهب السني بالرغم من أنها في واقع الأمر تشكل تهديداً للدول السنية دون غيرها. يشترط هذا التحالف بين الغرب وإيران ضمان الأخيرة أمن إسرائيل وعدم تشكيل أي تهديد حقيقي عليها، وبالتالي فضلت الولايات المتحدة وبعض الدول الأوروبية الاعتماد على طهران على حساب الحلفاء التقليديين في الشرق الأوسط.

السيناريو الرابع، يتمثل في توصل الغرب إلى قناعة تامة بأنه لا يمكن إحداث أي تغيير جوهري في النظام الحاكم في إيران أو تقويضه إلا من خلال التوغل في الداخل الإيراني، وهذا لا يتحقق إلا عبر الانفتاح على نظام الملالي ودخول الشركات الغربية والذي سيمهد تدريجياً بدخول مزيد من وسائل الإعلام الغربية والهيئات الحقوقية التي ستحرك المياه الراكدة في إيران. من هنا جاء هذا الاتفاق ليمهد الطريق لتحقيق هذا الهدف.

من جانب آخر، يمكن تلخيص أهم الاحتمالات لأهداف إيران من المفاوضات في السيناريوهات الثلاثة التالية:

السيناريو الأول: يتمحور حول رغبة إيران في كسر العزلة السياسية والاقتصادية التي تعيشها والانفتاح على العالم واستقطاب الاستثمارات الأجنبية وإنعاش السوق المحلية، وتوثيق العلاقات الدبلوماسية مع العالم بعد فترة الخمول والانكفاء التي عاشتها طيلة العقود القليلة الماضية. هذا الانكفاء كلف إيران كثيراً من الخسائر السياسية والاقتصادية دون مقابل يستحق كل ذلك.

السيناريو الثاني: يرى أن طهران وصلت إلى قناعة مفادها بأن الخصوم والمنافسين الإقليميين قد استفادوا كثيراً من العداء المعلن بين طهران ومعظم العواصم الغربية؛ مما أضر بالمصالح القومية الإيرانية، وأنه قد آن الأوان للعب



## البحرين خط أحمر يا إيران

النظام السياسي في طهران لم يعد قادرا أو هو لا يرغب في التحول من إيران الثورة إلى إيران الدولة، ويتخلى عن مشاريعه الرجعية والتوسعية التي لن يقبل بها العقل أو المنطق أو حتى الواقع السياسي في هذا العصر

بعد ثورة ١٩٧٩ بشكل متكرر إلا أن أخطر المخططات الإيرانية الغادرة كانت في ٢٠١١، عندما دفعت طهران بعض المغرر بهم من «أبناء البحرين» نحو تنفيذ مشروعها السياسي التوسعي الذي يستهدف أمن درة الخليج واستقرارها عبر القيام بعمليات إرهابية وحالات شغب في بعض المدن والقرى البحرينية، مما قاد دول مجلس التعاون الخليجي لاتخاذ موقف استراتيجي مهم من خلال تدخل قوات درع الجزيرة لتأمين المواقع الحساسة والاستراتيجية في مملكة البحرين، وإفشال المخطط الإيراني مجددا.

يبدو أن إيران لم تفهم الدرس جيدا، حيث استمرت التصريحات التحريضية والداعمة للإرهاب القادمة من الضفة الشرقية للخليج العربي، ولعل آخرها تصريحات رأس الهرم السياسي والديني في إيران علي خامنئي الأسبوع الماضي التي تعد تدخلا سافرا في الشأن الداخلي للبحرين، مما قاد الخارجية البحرينية إلى استدعاء القائم بالأعمال في السفارة الإيرانية في المنامة ثم استدعاء سفير البحرين في طهران للتشاور، كما أعلنت الداخلية البحرينية عن إفشال محاولات لتهريب بعض المتفجرات إلى البلاد عبر البحر وتم القبض على ثلاثة أشخاص على ارتباط بالحرس الثوري الإيراني ولا تزال تعمل على ملاحقة

عندما بدأ المستعمر البريطاني في نهاية ستينيات القرن الماضي بحزم حقائبه ومغادرة منطقة الخليج العربي، ظنت إيران أن البحرين، تلك الجزيرة الصغيرة التي تتمتع بموقع استراتيجي مهم، ستكون لقمة سائغة يسهل ابتلاعها، وتصبح إحدى المحافظات الإيرانية دون أي اعتراض يذكر من الدول العربية، خاصة المملكة. إلا أن موقف ملك المملكة العربية السعودية آنذاك الملك فيصل بن عبدالعزيز كان معاكسا للتوجهات الإيرانية ومفاجئا لها حيث استقبل أمير البحرين حينها الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة بتاريخ ١٥ فبراير ١٩٦٨ مما قاد شاه إيران، وتعبيرا عن امتعاضه من الموقف السعودي، إلى إلغاء زيارة كانت مجدولة بعد يومين من ذلك التاريخ إلى الرياض للقاء العاهل السعودي، وهدد الشاه بضم البحرين لإيران. حينها طلب الصحفيون من الملك فيصل التعليق على ذلك فقال: «إن موقف شاه إيران هذا جاء بسبب «غرور الشباب» وسوف يراجع موقفه»، كما أطلق مقولته الشهيرة: «إن أي اعتداء على البحرين يعد اعتداء على السعودية وسيتم الرد عليه»، وطلب الملك فيصل أن تقام أول دورة خليجية لكرة القدم في البحرين تأكيدا على عروبتها وردا على مزاعم إيران حول البحرين. استمرت التدخلات الإيرانية في الشأن الداخلي البحريني



سيكون مصير أي محاولات لاحقة كسابقتها، ولكن ردود الفعل قد تتغير. وستبقى البحرين دولة عربية مستقلة وعصية على أي تدخلات خارجية غادرة تستهدف أمنها واستقرارها. كما أن مثل هذه التدخلات الإيرانية ودعها الإرهاب ينبغي أن تكون محفزا حقيقيا لدول الخليج العربي لاتخاذ موقف موحد من هذه العربة السياسية الإيرانية، والأهم التفكير جديا، في ظل الظروف السياسية والمهددات المختلفة التي تعصف بالمنطقة، في تسريع الانتقال من المجلس إلى الاتحاد بين هذه الدول الخليجية وتحويل ذلك إلى حقيقة ماثلة في أقرب فرصة ممكنة.

على المستوى الداخلي البحريني، تقود مثل هذه التصريحات الإيرانية الفجة إلى التفاف الشعب البحريني حول القيادة السياسية وعلى رأسها جلالة الملك حمد بن عيسى الخليفة والحكومة البحرينية أكثر من أي وقت مضى حتى تصل الرسالة إلى إيران وعناصرها في الداخل العربي، ولقد طالعنا وسائل الإعلام البحرينية المختلفة خلال الأيام الماضية بمواقف شعبية للحملة الوطنية عبرت عنها غالبية المكونات السياسية والانتماءات الحزبية إلا فئة قليلة ظلت صامتة لن يؤثر صمتها هذا على الجو الوطني العام في البلاد، بل إن المتضرر الأول هو من شذ عن هذا التوجه الوطني والقومي، وأصبح في موقف محرج أمام الشعب البحريني الوفي والمخلص.

آخرين، وفقا لما بثه التلفزيون الرسمي البحريني. وبعد ذلك بيومين فقط، يتم الإعلان عن استشهاد جنديين بحرينيين، وإصابة ستة آخرين في إطلاق نار من قبل مسلحين بمنطقة سترة.. فمن حرك هؤلاء ومن دعمهم بالمال والسلاح والمتفجرات وأصدر الأوامر لهم؟! إن دعم إيران للإرهاب في مملكة البحرين يتم من خلال تدريب الإرهابيين وتقديم الدعم التقني وتهريب المتفجرات والدعوة للانقلاب على الشرعية وإثارة البلبلة في الداخل، كما تعمل إيران دائما على إثارة النعرات الطائفية والصراعات المذهبية في دول المنطقة ومن بينها مملكة البحرين الشقيقة. الأخطر، في نظري، أن هذه التصريحات قد جاءت بعد أيام فقط من توقيع الاتفاق بين إيران ومجموعة ١+٥ حول البرنامج النووي الإيراني وحديث البعض أن إيران ستراجع بعض سياساتها بعد هذا الاتفاق. ولكن مثلما تفاءل كثيرون بإيران جديدة ومختلفة بعد انتخاب الرئيس الحالي حسن روحاني ووصفه بالمعتدل وتفاجؤوا بتزدي الأوضاع وارتفاع وتيرة التدخلات الإيرانية في الشؤون الداخلية للدول العربية، يتكرر الوضع حاليا بعد الاتفاق النووي، دون أن تكتثر الدول الغربية بهذه التصرفات الإيرانية التي تتجاوز كل المواثيق والأعراف الدبلوماسية وسياسات حسن الجوار، ذلك أن النظام السياسي في طهران لم يعد قادرا أو ربما لا يرغب أساسا في التحول من إيران الثورة إلى إيران الدولة، ويتخلى عن مشاريعه الرجعية والتوسعية التي لن يقبل بها العقل أو المنطق أو حتى الواقع السياسي الذي يعيشه العالم في القرن الحادي والعشرين. يظهر ذلك جليا من خلال التصريحات التي أطلقها وزير الخارجية الإيراني إبان زيارته للكويت مطلع الأسبوع الجاري ومحاولة التملص من الحقائق التي تثبت تورط بلاده والعزف على وتر المظلومية وأن إيران بريئة من كل هذه التهم.

لسان حال الشارع الخليجي يقول للنظام الإيراني بصوت واحد، ثابت وراسخ: البحرين خط أحمر يا إيران، تمت المحاولة سابقا وباءت بالفشل، وبإذن الله

لسان حال الشارع الخليجي يقول للنظام الإيراني بصوت واحد، ثابت وراسخ: البحرين خط أحمر يا إيران، تمت المحاولة سابقا وباءت بالفشل، وبإذن الله

## إلى الوزير ظريف: كيف أعاهدك وهذا أثر فأسك؟!

هل يعتقد ظريف بأن القارئ بهذه السذاجة حتى يصدق أن إيران تحترم سيادة ووحدة تراب الدول واستقلالها السياسي فعلاً؟ ألم يعلم أن بلاده ممثلة في الحرس الثوري وجهاز الاستخبارات، تتدخل في شؤون دول المنطقة ليل نهار؟

باضطرابات ومخاطر جدية تهدد أسس المجتمع والثقافة فيها! إلا أنه لا يمكن لإيران الوقوف موقف اللامبالاة أمام الدمار الهائل في أطرافها وقد حان الوقت للتفرغ لأعمال أهم من الاتفاق النووي، وفي مقدمتها البحث عن آليات تساعد جميع دول المنطقة على اجتثاث جذور وعوامل التوتر وغياب الثقة فيها. في هذا الجزء زعم ظريف بأن بلاده تعيش حالة من الاستقرار والأمن. بعد ذلك دلف إلى النقطة الأهم في مقاله، ونقلها حرفياً حيث قال: «لا بد أن يكون الحوار الإقليمي وفق أهداف مشتركة ومبادئ عامة تعترف بها دول المنطقة وأهمها: احترام سيادة ووحدة تراب جميع الدول واستقلالها السياسي وعدم انتهاك حدودها، الامتناع عن التدخل في الشؤون الداخلية للدول الأخرى، منع التهديد أو استخدام القوة...».

هل يعتقد ظريف بأن القارئ بهذه السذاجة حتى يصدق أن إيران تحترم سيادة ووحدة تراب الدول واستقلالها السياسي فعلاً؟ ألم يعلم أن بلاده ممثلة في الحرس الثوري وجهاز الاستخبارات، تتدخل في شؤون دول المنطقة ليل نهار؟ هل تملك الحكومة العراقية السابقة والحالية استقلالاً سياسياً ومستشار الرئيس روحاني يصف بغداد بعاصمة الإمبراطورية الفارسية دون أن تنبس

صبيحة اليوم الذي من المقرر أن يجتمع فيه وزير الخارجية الأميركي (جون كيري) مع نظرائه في دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية، ومن ثم الاجتماع الثلاثي الذي يجمع إلى جانب كيري كلاً من وزير الخارجية السعودي ونظيره الروسي، حول الاتفاق النووي والأوضاع في سورية واليمن، طالعنا وسائل الإعلام الإيرانية - والتوقيت ليس مصادفة- بتصريح منسوب لحسين عبداللهيان مساعد وزير الخارجية الإيراني للشؤون العربية وشمال أفريقيا، قال فيه إنه «من الضروري عودة العلاقات بين الرياض وطهران إلى الحالة الطبيعية». تصريح دبلوماسي وبراغماتي غير مستغرب على الساسة الإيرانيين. إلى جانب هذا التصريح، وفي اليوم ذاته، طالعنا صحيفة «الشرق» القطرية بمقال مطول لوزير الخارجية الإيراني محمد جواد ظريف. عنوان المقال كان جذاباً، كسجادة أصفهانية من الحرير الخالص والألوان الطبيعية البراقة: الجار ثم الدار.. توصية أخلاقية أم ضرورة استراتيجية..».

في مقدمته، أكد ظريف على أن من أولويات بلاده بناء علاقة طيبة ووطيدة مع جيرانها، مؤكداً على أن جولته بعد توقيع الاتفاق النووي التي شملت الكويت وقطر والعراق تصب في هذا المسار، وتأكيدها لهذه الاستراتيجية على حد وصف ظريف، تحدث أيضاً عن أن المنطقة تمر

«نموذجاً جيداً» لانطلاق التعاون، مكرراً مقترحك الذي قدمته بعد بدء عمليات عاصفة الحزم بشهر كامل وتم رفضه جملة وتفصيلاً من قبل الحكومة اليمنية. نعم الكل يريد حلاً للأزمة اليمنية، وهذا شغل دول الخليج الشاغل، لكن كأن معاليكم نسي أو تناسى أن هناك دمّاً يهرق في سورية منذ قرابة خمسة أعوام، وتم قتل أكثر من ٢٠٠ ألف بريء من بينهم النساء والشيوخ والأطفال، وبلاذك متورطة حتى أذنيها في ذلك وعلى مستويين رئيسين، أحدهما دعم بشار بالمال والسلاح، والثاني إرسال الحرس الثوري والمترزقة من العراق وباكستان وأفغانستان إلى سورية لقتل الشعب السوري. إذا لم تعلم بذلك، فزيارة واحدة لمقابر مدينة مشهد ومقبرة الأحواز كافية بإطلاعك على عدد من قُتل في سورية وتم دفنهم في هاتين المدينتين، وعند الحرس الثوري الخبر اليقين أيضاً. ودعني أسأل معاليكم: هل سمعت يوماً بالبراميل المتفجرة التي تسقط على المدن السورية؟! الجنرال قاسم سليمان على علم بذلك فأسأله! وبعد هذا انظر أيهما أولى بالمسارعة بحل أزمتة اليمن أم سورية؟

يا معالي الوزير، إذا كانت بلادك، بالفعل، تسعى إلى بناء الثقة المتصدعة إن لم تكن معدومة تماماً، فاستمع، بأذن مصغية واعية دون غرور أو غطرسة، إلى الحقائق والأدلة والمطالب التي تملكها دول الجوار العربي، واعمل على كبح جماح «إيران الثورة» بعسكرها وباسيحتها وتيارها الراديكالي، وانقل الصورة الصادقة من الجار الصادق الذي لا يغدر ولا يخون، واجعل حكومة بلادك، وأنت قائد الدبلوماسية فيها، تنتقل من الأقوال إلى الأفعال وستجد حينها قلوباً وصدوراً خليجية مفتوحة، تؤمن بحسن الجوار، كيف لا وأنت عنونت لمقالك بمقولة عربية محضة، فكل عربي يؤمن بأن «الجار قبل الدار»، ولكن العرب تقول أيضاً «كيف أعاهدك وهذا أثر فأسك؟!».

حكومة العبادي بنت شفة؟ ما الدولة التي توغلت في الأراضي العراقية بمسافة ٤٠ كلم تحت مزاعم قطع الطريق على تنظيم داعش الذي لم يشكل يوماً خطراً عليها؟ ما الدولة -يا معالي الوزير- التي تزود الإرهابيين في البحرين، وباعترافات بُثت على القنوات التلفزيونية، بالسلاح وتدريبهم في معسكرات الحرس الثوري في شمال إيران ووسطه وجنوبه؟ الأمر ذاته ينطبق على الحالة اليمنية.

نعود مجدداً إلى النقاط التي ذكرتها في مقالك ونتساءل سوياً: من هدد بتنفيذ أربعة تفجيرات في الرياض؟ ألم يكن قائد القوات البرية الإيرانية، ولماذا لم نسمع للحكومة صوتاً تجاه ذلك، ولماذا صمتت أيضاً تجاه مزاعم احتلال إيران أربع عواصم عربية؟ دعنا الآن ننتقل إلى الداخل الإيراني، هل فعلاً إيران دولة مستقرة تماماً وينعم شعبها، بكافة مكوناته العرقية والمذهبية، بالعدل والمساواة؟ ألم يخبرك قائد الحرس الثوري، يا معالي الوزير، بأن (بلوشستان) تشهد حالة من عدم الاستقرار؟ ألم يخبرك صديقك كيري بأن إحدى مؤسساتهم البحثية صنفت الخطر السياسي في إيران بـ«العالى» والخطر الأمني بـ«المتوسط»، خاصة في بعض محافظات الشعوب غير الفارسية، أم أن الاتفاق النووي يَجِبُ ما قبله؟ لماذا أخفى عليك وزير داخليتكم الاضطرابات في (کردستان والأحواز) بسبب حرمان شعوب تلك المناطق من حقوقهم الثقافية واللغوية والمذهبية؟ أرجوك يا معالي الوزير لا تنظر إلى القارئ العربي على أنه ذلك البدوي الحافي العاري الذي لا يملك أدنى مقومات الحضارة أو الثقافة والإدراك، كما يتم الترويج لذلك في بعض الأدبيات الصادرة من الداخل الإيراني، والمسيسة لحكومات وشعوب هذه الدول التي تريد طهران بناء الثقة معها، فالصندوق الإيراني لم يعد مغلقاً، وما يدور في أبعد قرى إيران وأصغرها يصل بضغطة زر إلى كل متابع ومهتم!

طالبتم -يا معالي الوزير- بضرورة البدء بحل الأزمة اليمنية حيث وصفتها بالمؤلمة، وترى أن ذلك يشكل



## الاتفاق النووي بين صراعات الساسة والشعب الإيراني

ينظر المواطن الإيراني إلى الاتفاق النووي كنافذة إلى العالم يحظى من خلالها بحياة أفضل، كما يطمح إلى أن تكون بلاده دولة طبيعية لا يلتصق اسمها بالإرهاب، ولكن حسابات الساسة في طهران قد لا تسمح بتحقيق هذه الرغبات

لا تتطابق مع النص الإنجليزي وتصريحات الإدارة الأميركية والاتحاد الأوروبي، ولا تزال المشكلة قائمة.

يقول كبير المفاوضين الإيرانيين عباس عراقجي: يجب أن يدرس البرلمان الإيراني الاتفاق النووي، ومن ثم تعلن إيران رأيها النهائي قبل الجانب الأميركي، حتى إن حدثت أي عرقلة للاتفاق من قبل الكونغرس الأميركي فحينها يقع اللوم كاملاً على الجانب الأميركي دون غيره. كما قال عراقجي: إننا لا نمانع من زيارة مفتشي الوكالة الدولية للطاقة الذرية لموقع «نطنز» النووي وستتم الموافقة خلال ٢٤ ساعة، حتى لو أرادوا النوم هناك لأنه ليس لدينا ما نخفيه!. عراقجي قال ذلك في جلسة خاصة مع مجلس هيئة الإذاعة والتلفزيون الإيرانية، وتم نشرها على موقع الهيئة مما أثار غضب عراقجي زاعماً أنه تم تحريف كلامه، علاوة على أن ما دار في الاجتماع لم يكن قابلاً للنشر، مما قاد الموقع إلى حذف الخبر سريعاً؛ معللاً ذلك بأن ما نشر كان فهماً خاطئاً لبعض ما طرحه عراقجي، إلا أن بعض الصحف الإيرانية مثل صحيفة اعتماد قد نقلته قبل الحذف.

ليدرك القارئ الكريم أن هيئة الإذاعة والتلفزيون الإيرانية لا تخضع لرئيس الجمهورية بل مرتبطة مباشرة بالمرشد الأعلى، أي أنها على مستوى مواز تماماً لرئيس الجمهورية

كانت وزارة الثقافة والإرشاد الإيرانية، خلال فترة المفاوضات وبعد التوقيع على الاتفاق النووي، تطالب الصحفيين والإعلاميين بعدم انتقاد الاتفاق والتركيز على إيجابيته، وكيل المديح للفريق المفاوض وعدم نقل أو التطرق لأي انتقادات للاتفاق. لقد تم فضح ذلك بعد تسريب وثيقة تم تداولها بشكل واسع في وسائل التواصل الاجتماعي في إيران، صادرة عن هذه الوزارة وموجهة إلى وسائل الإعلام المحلية. من جانب آخر، ركز خطباء الجمعة (مرتبطون بولي الفقيه مباشرة) على ما وصفوه بـ«الانتصار النووي» وحذروا من الجدل بين التيارات الحزبية والسياسية حول الاتفاق وعواقب ذلك، إلا أن النظرية شيء والواقع شيء آخر تماماً.

فبعد موجة البهجة والفرح التي ارتسمت على ردود أفعال النظام الإيراني، بكافة أطيافه ومكوناته السياسية وإن كان بدرجات متفاوتة، برز إلى السطح الخلاف بين التيارات السياسية من أصوليين ومعتدلين داخل الدائرة الضيقة التي تحكم البلاد. بدأت التساؤلات والاستفهامات تنطلق من تحت قبة مجلس الشورى (البرلمان) الإيراني بعد أن قدمت وزارة الخارجية ترجمة -باللغة الفارسية- للاتفاق النووي فتم اكتشاف الكثير من الأخطاء والتجاوزات في الترجمة، فقدمت الخارجية ترجمة ثانية فثالثة وجميعها



صحت العبارة، في مواجهة التيار الأصولي حتى لا يقوم هذا التيار بهدم كل ما بناه روحاني وحكومته خلال العامين الماضيين والتوصل إلى هذا الاتفاق الذي كان بمثابة الورقة التي راهن عليها الرئيس الإيراني منذ انتخابه في منتصف عام ٢٠١٣.

في ظل كل هذه الصراعات، الحقيقية منها والمصطنعة، ينظر المواطن الإيراني إلى الاتفاق النووي كنافذة إلى العالم يحظى من خلالها بحياة أفضل، بعيداً عن مبرر العقوبات وسياسة العداء التي ينتهجها النظام الإيراني تجاه معظم دول العالم ودول الجوار تحديداً، كما يطمح إلى أن تكون بلاده دولة طبيعية لا يلتصق اسمها بالإرهاب والتدخلات في شؤون الآخرين ومحور الشر والشعارات العدائية، ولكن حسابات الساسة في طهران مختلفة تماماً، وقد لا تسمح بتحقيق أي من هذه الرغبات وسيجد النظام أعذاراً ومبررات جديدة ليبقى الحال على ما هو عليه .

من حيث الهيكلية الإدارية في النظام الإيراني، وهذه الهيئة محسوبة بطبيعة الحال على التيار الأصولي، وعليه فإن الأقرب للواقع أن نشر تفاصيل ما دار في تلك الجلسة الخاصة ليس خطأ ارتكبه أحد المحررين كما جاء التبرير وليس تحريفاً لحديث عراقجي، بل ينبغي قراءته في إطار الصراعات الحزبية بين الأصوليين وخصومهم، والإيحاء إلى بعض التنازلات التي قدمها فريق المفاوضات المحسوب على التيار المعتدل. فبعد سبعة أشهر من الآن هناك انتخابات مجلس الشورى الذي يسيطر عليه حالياً التيار الأصولي، ويخشى أن يستغل المعتدلون «إنجاز» الاتفاق النووي للتأثير على الناخبين وبالتالي انعكاس ذلك على نتائج الانتخابات، ومن ثم إمكانية سيطرة هذا التيار على البرلمان إلى جانب الحكومة، وبالتالي السيطرة على السلطتين التشريعية والتنفيذية.

ولتصل الفكرة بشكل أكثر وضوحاً إلى القارئ الكريم، نشير إلى أنه خلال المفاوضات النووية كانت الحكومة الإيرانية تبالغ في وعودها للشارع الإيراني بتحسين الأوضاع المعيشية والانتعاش الاقتصادي وانخفاض معدلات التضخم والبطالة ونحو ذلك، ولكن بعد أن تم التوصل إلى الاتفاق أدركت حكومة روحاني أنها لن تحقق أيّاً من ذلك قبل الانتخابات البرلمانية، فبدأت تتحدث عن إمكانية تحقيق بعض تلك الوعود بعد عام أو أقل من ذلك بقليل، وهي بالتالي تحاول امتصاص أي غضب شعبي محتمل يصب في نهاية المطاف في صالح التيار الأصولي الذي سيلعب على ذلك في المعركة الانتخابية. فعلى سبيل المثال، نجد أن المتحدث باسم الحكومة الإيرانية محمد باقر نوبخت يقول إن الحكومة لن تستفيد من الأموال التي سيفرج عنها، ويقول وزير الاقتصاد إن الأموال المجمدة قد تم استخدامها ولم تعد موجودة فعلياً، وبالتالي لن تدخل في الميزانية العامة للدولة. من هنا، نجد أن الحكومة الإيرانية، ومن خلال محاولة التبرير بأن السرعة في القبول بالاتفاق سوف تخرج الجانب الأميركي أمام المجتمع الدولي وأعضاء مجموعة ١+٥ الآخرين، تستخدم أسلوب «الإغراء»، إن

## ماذا يحتاج اليمن إعلامياً؟

أزعم أن الشعب اليمني يأمل أن تطلق وزارة الإعلام اليمنية وقوات التحالف محطات إذاعية تتحدث باسم الحكومة الشرعية، لضمان وصول الرسالة الصحيحة والمعلومة الدقيقة إلى المواطن اليمني البسيط

بطبيعة الحال، ذلك المواطن البسيط متابعة الأحداث إلا من خلال المحطات الإذاعية وهنا تكمن المشكلة حالياً، فبحسب مسؤولين يمينيين التقيت بهم مؤخراً في إحدى الندوات حول الأوضاع في اليمن، يسيطر الانقلابيون على أكثر من ثلاثين محطة إذاعية بما في ذلك الإذاعة الرسمية للبلاد، وفي المقابل لا يوجد (حسب معلوماتي) أي محطة إذاعية مؤازرة للشرعية ومؤيدة لها، وللجميع أن يتخيل التضليل الإعلامي الكبير الذي يستخدمه أنصار الحوثي والرئيس المخلوع عبر هذه المحطات الإذاعية التي يستمع إليها الملايين من اليمنيين. من هنا، أتوقع، بل وأزعم؛ أن الشعب اليمني يأمل أن تطلق وزارة الإعلام اليمنية وقوات التحالف محطات إذاعية تتحدث باسم الحكومة اليمنية لضمان وصول الرسالة الصحيحة والمعلومة الدقيقة إلى المواطن اليمني البسيط. لا ينبغي أن يفهم من ذلك أن المحطات التلفزيونية اليمنية أو المؤيدة للشرعية عربياً على المستوى المأمول. الواقع يقول إن الإعلام «المساند» لعاصفة الحزم و«إعادة الأمل» ليس على مستوى النجاحات العسكرية التي تتحقق على الأرض، بل إنه، في نظري، دون ذلك بكثير ويحتاج إلى مضاعفة الجهود في سبيل إيصال حقيقة العمليات في اليمن ودوافعها والنتائج المرجوة منها وبخاصة في ظل تكثيف حملات الوسائل

أصبحت الحروب في العصر الراهن مختلفة ومتنوعة، غالبيتها تستخدم أساليب وأدوات بعيدة عن فوهة البندقية والمدفعية، ومنصات الصواريخ وأجهزة الرادار والرصد، ولعل الآلة الإعلامية من أبرز هذه الأدوات حالياً، حيث يركن إليها الساسة لتشكيل خطا موازياً للجانب العسكري التقليدي. وعند الحديث عن الحالة اليمنية، فمنذ انطلاق عمليات عاصفة الحزم نجد أن الإعلام العربي والخليجي يركز، في الغالب، على الجوانب العسكرية والاستراتيجية والتنموية والاقتصادية والأعمال الإغاثية، وهذا أمر مرغوب وطبيعي ومرتبطة بالحالة الراهنة التي تشهد تطورات عسكرية يومية على المشهد اليمني، إلا أنه من الضرورة بمكان أيضاً توسيع دائرة النظر للحالة اليمنية من خلال قراءة استشرافية لاحتياجات هذه الدولة الشقيقة حالياً ومستقبلياً وبخاصة في الجوانب الإعلامية.

المتابع لتركيز واهتمامات المحطات التلفزيونية يشاهد الكثير من التحليلات السياسية والعسكرية والتكتيكية إلا أن المشكلة التي قد تحول دون وصول الرسالة إلى المواطن اليمني تتمثل في الانقطاع المتكرر للكهرباء وبخاصة في المدن الصغيرة والأرياف التي تمثل السواد الأعظم من الشعب اليمني. فمع انقطاع التيار الكهربائي لا يستطيع،

الفئة إلى خطاب من نوع خاص، يستخدم لغة التبشير لا التنفير، لغة الاحتواء لا لغة تكريس الخلاف وتوسيع التباين والفرقة. على وسائل الإعلام أيضاً مهمة الكشف لهذه الفئة أن قادة الحركة الحوثية والمخلوع يسعون لتحقيق مكاسب شخصية في المقام الأول، وقد يتخلون عنهم سريعاً من خلال السعي إلى الخروج من البلاد أو الفوز بضمانات حقوقية ومالية، وفي نهاية المطاف يُترك ذلك المواطن لمواجهة المصير ونتائج الارتباط بالانقلابيين ومساندتهم ضد النظام السياسي اليمني المعترف به دولياً.

الإعلامية المناهضة لهذا التحالف العربي والتي تبث بلغات مختلفة من بينها العربية والفارسية والإنجليزية والتركية... إلخ، الأمر الذي يؤدي في نهاية المطاف إلى تقديم صورة مغلوبة ومضللة للعالم وبالتالي التأثير على الرأي العام وربما صناعة القرار في تلك الدول. لا نذيع سراً عند القول إن النظام الإيراني، الداعم الأول للحركة الحوثية والمناصر لها، سخر آتته الإعلامية، وبلغات مختلفة، لسياسة قلب الحقائق وتزويرها وبث بعض الصور والمقاطع الصادرة من الداخل السوري على أنها من اليمن، كما أنه يبث معلومات مكذوبة عن واقع المعارك بهدف ممارسة تضليل إعلامي دولي ضد قوات التحالف والحكومة الشرعية في اليمن، وبالتالي من الضرورة بمكان تكثيف الوسائل الإعلامية العربية جهودها لتنفيذ هذه المزاعم ودحضها ونقل الصورة الصحيحة للعالم.

من جانب آخر، فإن مصلحة اليمن ومستقبله يحتمان على الجميع في اليمن السمو على الانتماءات القبلية والمناطقية والجهوية والفئوية والمذهبية والالتفاف حول خطاب وطني وواقعي يركز على الوحدة الوطنية والأخوة بين اليمنيين، واختفاء الخطاب الذي قد يسهم في خلق بعض الخلافات بين اليمنيين أنفسهم وبخاصة الحديث عن يمنين شمالي وجنوبي. أعتقد أن مستقبل اليمن وأمنه واستقراره مرهون بالتفكير بشكل تصالحي ووَطني في ظل الدولة الواحدة. من هنا تقع المسؤولية الكبرى على وسائل الإعلام العربية بشكل عام، واليمنية على وجه الخصوص، في تحقيق هذا الفكر الجمعي لدى الشعب اليمني بعيداً عن الخطابات التي قد تشجع، بشكل أو بآخر، على العنف والاقتتال بين التوجهات المختلفة في البلاد.

هناك أيضاً حاجة ملحة لمخاطبة الفئة القليلة من المجتمع اليمني التي لا تزال تعتقد أن جماعة الحوثي أو أنصار الرئيس المخلوع علي عبدالله صالح قد يقدمون للبلاد شيئاً غير الدمار والخراب والارتباط بالمشاريع السياسية المستوردة أو المفروضة من الخارج. في نظري، تحتاج هذه



## العرب وشعارات طهران والسراب

اعلم يقيناً يا من خدعتك إيران بشعاراتها التي تخلت عنها الآن، أنك ستبقى عربياً في عين الجار الفارسي وإن كنت شيعياً أو متشيعاً سياسياً، فالمحرك الأساسي قومي وليس مذهبياً

عن تلك الشعارات التي لم تعد صالحة للمرحلة الجديدة وبخاصة بعد الاتفاق النووي، فسارعت طهران إلى اقتلاع اللوحات العدائية وطمست جداريات «الشیطان الأكبر» في شوارع طهران، فالمرحلة جديدة وإيران أصبحت جديدة والغرب أصبح جديداً أيضاً، وبالتالي لم تعد تلك الشعارات ضرورية إطلاقاً. ولكن في خضم ذلك كله، تنبه الساسة في طهران إلى أن رفع الشعارات من أسس ومبادئ النظام الثوري القائم فكيف يتم التخلي عن تلك الثوابت والمبادئ؟ وسريعاً تقفز الفكرة البديلة التي تتمثل في رفع شعارات مماثلة ولكن باتجاه مختلف عن السابق. من هنا تتحول البوصلة الإيرانية تلقائياً نحو الشرق، بل نحو دول الجوار العربي، لتخرج بعض الأشعار والأغاني على مواقع حكومية إيرانية تطالب بقتل العرب (عرب كش) ورميهم في مياه الخليج العربي (يسمونه الفارسي وهو لو نطق لما عرف غير العربية)، وظهرت شعارات على جدران أحياء طهران تقول «مرگ بر عرب» (الموت للعرب)، واستبدل تحرير فلسطين بتشكيل الامبراطورية الفارسية وعاصمتها بغداد، والأمثلة في هذا الباب كثيرة جداً.

كل ذلك يمكن تجاوزه لسبب أو لآخر، لكن مهلاً مهلاً، ماذا سيحدث لمن أطلقت عليهم في بعض تغريداتي

ثورة انطلقت في عموم إيران في نهايات سبعينات القرن الماضي، رجال مؤدلجون قفزوا على ثورة الشعب واختطفوها.. «الموت لأميركا»، «الموت لإسرائيل»، «الشیطان الأكبر»، «القضية الفلسطينية»، و«قوى الاستكبار العالمي»، وصل صدى هذه الشعارات عبر بروكسيات الأدلجة والمؤدلجين إلى الداخل العربي مع صبغة طائفية تظهر تارة وتختفي تارة أخرى، وفقاً للظروف والمصالح السياسية. صدق بعض سذج العرب، ومعدرة على هذا الوصف، تلك الشعارات، أصبحوا يرددونها كاللبغاوات معتبرين أنها ركناً أساسياً في مواقفهم، بل من ثوابتهم الراسخة، أصبحوا يلهثون خلف تلك الشعارات وهي «كَسْرَابِ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا»، تخلوا عن عروبتهم وانتمائهم القومي والوطني، أخذوا على عواتقهم تنفيذ المشاريع الفارسية أو المساهمة في إنجاحها لتصبح حقيقة على أرض الواقع.

بدورها، استغلت إيران مواقف أولئك العرب السذج وساومت بهم على طاولات المفاوضات الغربية والشرقية وتركتهم لمصيرهم وسجناء لشعاراتهم التي قررت طهران ذاتها تجاوزها. أصبح واضحاً للجميع أن النظام الإيراني دخل المفاوضات خدمة لمصالحه السياسية أولاً وأخيراً وسعيًا لتحقيق أهدافه، ولذلك يتم التراجع رويداً رويداً

المحيطة بنا، ونتجاوز الإرث المتراكم من الصراعات الثقافية والتاريخية والأدبية والمذهبية وحتى العسكرية، لكن هناك من يعتقد أن استمراره ككيان سياسي مرهون بإذكاء هذه الصراعات حتى أصبحت كالأكسجين الذي يموت بدونه.

بحساب «شؤون إيرانية» على موقع تويتر «أحباب إيران» في الداخل العربي؟ هل سيلهثون خلف الشعارات التي تنادي بقتلهم وقتل أبناء جلدتهم من المحيط إلى الخليج؟ يا للمفاجئة، بل يا للفضيحة، لسان حالهم يكرر كيف نخرج من هذا المأزق، فلا مجال للاستمرار في ترديد تلك الشعارات السابقة، وهذه الشعارات الجديدة ستجعلنا في فوهة المدفع أمام أهلنا وأبناء الوطن، فكيف نتصرف؟

لا يمكننا الإجابة عن القرار الذي سيتخذونه ولا هل سيكون هذا التحول الإيراني سبباً في استيقاظهم من تلك الغفلة وينقذهم من حالة الاختطاف الفكري والأيديولوجي؟ فقط يمكننا أن نذكرهم جميعاً بأن الدم العربي الذي يجري في عروقهم هو ذاته الذي يجري في عروق كل العرب الآخرين، واللغة واحدة، والوطن واحد، والعادات والتقاليد كذلك، وعليهم أن يعودوا إلى الحضن العربي الدافئ، فقلب العربي كبير، وشيمته العفو والصفح متى ما لمس عودة جادة لابن جلدته الذي تم اختطافه لسنوات وربما لعقود.

في نهاية المطاف، اعلم يقيناً يا من خدعتك إيران بشعاراتها التي تخلت عنها الآن، أنك ستبقى عربياً في عين الجار الفارسي وإن كنت شيعياً أو متشيعاً سياسياً، فالمحرك الأساسي قومي وليس مذهبياً، واسألوا، إن شئتم، اللاجئين العراقيين الشيعة في إيران، بل اسألوا أهلنا في الأحواز العربية واسمعوا ما يردده بعض رجال الدين الشيعة في العراق ولبنان عن أطماع إيران الفارسية في المنطقة العربية. بكل صراحة ووضوح، يمكن للعربي أن يتجاوز كل شيء ولكن تاريخ الصراع العربي الفارسي لن يغفر ولن يتجاوز ولن ينسى، وعودوا للحركة الشعبية وأدبها قبل أحد عشر قرناً وقارنوها بالأدبيات الصادرة حديثاً من إيران، لتدركوا حجم الخلاف الثقافي والتاريخي الذي ارتدى العباءة المذهبية بعد ثورة ١٩٧٩.

ختاماً، نقولها بكل أسى ومرارة، يبدو أن قدر المنطقة الاتكاء على التاريخ الذي لم تخرج منه مع الأسف الشديد. كلنا نتمنى علاقة طبيعية مع الدول والأعراق

## سياسة الرعب.. قوات البسيج الإيرانية أنموذجا

تنظيم البسيج قد ينهار بين عشية وضحاها متى ما أدرك المنتسبون إليه أن الأمور تسير في اتجاه سقوط النظام، وعليه سيفضل أولئك الصمت والابتعاد خشية الملاحقات المستقبلية وخسارة وظائفهم الأساسية

في المجتمع لخلق التوازن بين قوة الدولة ومؤسسات المجتمع المدني؛ لذا تنتشر قوة البسيج في المؤسسات الحكومية والأهلية كافة ومن بينها المدارس والجامعات والمصانع والمساجد والهيئات الحكومية والوزارات الخدمية ونحو ذلك.

نشطت هذه القوة خلال الحرب العراقية الإيرانية، وبعدها خلال أحداث متعددة في الداخل الإيراني إلا أن نشاطها الأبرز كان قد ظهر خلال الأحداث التي أعقبت إعلان نتائج الانتخابات الرئاسية في عام ٢٠٠٩ التي «فاز» فيها محمود أحمد نجاد بدورة رئاسية ثانية على حساب التيار الإصلاحي (الحركة الخضراء) ممثلاً في مير حسين موسوي ومهدي كروي، حيث لجأ الشباب الإيراني إلى الشارع تعبيرا عن اعتراضه على نتائج الانتخابات، ومؤكداً على أحقية الإصلاحيين في الفوز الأمر الذي قاد إلى اضطرابات ومصادمات أمنية بين المتظاهرين ورجال الأمن في عدد من المدن الكبرى الإيرانية، وبخاصة العاصمة طهران. في ظل هذا الظهور برزت قوة البسيج كواحدة من أهم الركائز الداعمة للنظام الإيراني، حيث ضربت بيد من حديد للقضاء سريعاً على الاحتجاجات التي راح ضحيتها العشرات واعتقال المئات من الشباب الإيراني. خلق هذا الحدث نوعاً من الرهبة في المجتمع الإيراني

بعد انتصار الثورة الإيرانية ووصول الملالي إلى السلطة هناك، دعا الخميني إلى تأسيس جيش مكون من عشرين مليون رجل، ولأنه من المستحيل تحقيق ذلك لأسباب اقتصادية وسياسية، فقد جاءت فكرة توفير برنامج التدريب العسكري لجميع المواطنين، ومن هنا انبثقت فكرة إنشاء قوة البسيج (التعبئة) التابعة للحرس الثوري في عام ١٩٨٠. تُشكل هذه القوة من سكان المدن والأقاليم الإيرانية المختلفة وفقاً لاعتبارات عديدة من بينها المساحة وعدد السكان، كما أن هذه القوى تتم تجزئتها إلى نطاقات مقاومة، ومن ثم يتم تقسيمها مجدداً إلى جماعات فرعية ومناطق مقاومة وقواعد مقاومة، وفي القرى والأرياف ذات الكثافة السكانية المنخفضة يتم تشكيل ما يعرف بخلايا المقاومة. تستفيد قوة البسيج من الجنسين، حيث يطلق على تنظيم الذكور «كتائب عاشوراء» بينما تسمى تشكيلات الإناث «كتائب الزهراء». معظم، إن لم يكن الجميع، المنتسبين لقوة البسيج طلاب أو عمال أو موظفون يعملون في جهات مختلفة ويتقاضون رواتب شهرية كسائر الموظفين، كما يتم صرف مكافآت مالية لهم عند تنفيذ المهام المنوطة بهم وتكون في كثير من الأحيان مبالغ عالية جداً. بعد تشكيل هذه الجماعات، يقوم النظام بإذابة أعضائها



من الديكتاتوريات التي شهدها العالم واعتمدت على السياسة البوليسية، ولكنها سرعان ما خذلتها لتواجه مصيرها المحتوم

من قوة البسيج التي بتأسيسها ونشاطها حولت إيران إلى دولة بوليسية من الدرجة الأولى. فقد أعلن مؤخرًا قائد قوات البسيج (محمد رضا نقدي) أن عدد أعضاء هذا التنظيم قد تجاوز ٢٤ مليون عضو، وبعبارة أخرى أن واحداً من بين كل ثلاثة إيرانيين منتسب إلى هذه القوة، وبالتالي أصبح كل شخص يشك في أقرب الناس إليه أنه عضو بسيجي متخف. من غير المستبعد أيضاً أن هذه التصريحات تهدف إلى تضخيم قوة البسيج لبث نوع من الخوف والرغبة في المجتمع الإيراني متى ما أراد تكرار تجربة ٢٠٠٩ في ظل الصراعات الحزبية القائمة حالياً في إيران بعد الاتفاق النووي ومؤشرات الانفتاح على الغرب، وتقدم التيار الإصلاحي على حساب نظيره الأصولي، وبخاصة ونحن على مقربة من الانتخابات البرلمانية التي قد تقود إلى فوز ساحق للإصلاحيين، وتشكيل الأغلبية في مجلس الشورى الإيراني الذي ظل الحصن الحصين للتيار المتشدد، وعائقاً لمشاريع التيار الإصلاحي.

هذه القوة قد تكون نموذجاً متكرراً في دول أخرى، وإن أخذت أسماء مختلفة لم تحل دون سقوط تلك الأنظمة التي كانت تستعرض قوتها العسكرية والأمنية ليل نهار. الأمر ذاته ربما ينطبق على قوة البسيج الإيرانية، فعلى الرغم من اعتماد نظام ولي الفقيه عليها، إلى جانب قوات الحرس الثوري، إلا أن هذا التنظيم قد ينهار بين عشية وضحاها متى ما أدرك المنتسبون إليه أن الأمور تسير في اتجاه سقوط النظام، وعليه سيفضل أولئك الصمت والابتعاد خشية الملاحقات المستقبلية وخسارة وظائفهم الأساسية، وربما تصفيات جسدية لقيادات هذا التنظيم على غرار ما حدث لقيادات قوة (السافاك الشاهنشاهية) بعد سقوط محمد رضا شاه بهلوي.

في نهاية المطاف، ستكون الحسابات مختلفة وستلعب ضغوطات الجوانب الاجتماعية والأسرية دوراً بارزاً في تخلص أولئك الأشباح بشكل سريع من كل ما قد يؤدي إلى ملاحقتهم سياسياً أو اجتماعياً، ومن ثم يجد النظام الإيراني نفسه أمام أزمة تسارع بسقوطه على غرار كثير

## ولاية الفقيه وسياسة الأدلجة

من تابع ردة الفعل الرسمية الإيرانية قبل أيام على بيان النيابة العامة الكويتية الذي تحدث فيه عن تورط دبلوماسيين إيرانيين يعملون في السفارة الإيرانية في الكويت، وبيان السفارة حول ذلك، يدرك جيدا نمط تفكير الساسة في إيران ومحاولة التذكي والاعتقاد بأنهم قادرون على مخادعة الجميع

والتطور الذي حدث في الدول المجاورة، مما يتنافى مع تلك الأفكار جملة وتفصيلا.

صديق مهتم بالشأن السياسي ويتابع البرامج السياسية الحوارية يحدثني عن استغرابه الشديد من مداخلات معظم المحللين السياسيين الإيرانيين الذين تتم استضافتهم من بعض القنوات الفضائية الناطقة بالعربية، يذكر هذا الصديق أن أجوبتهم دائما متشابهة وكذلك استراتيجياتهم في التهرب من الإجابات، وكأن شخصا أو جهة ما عملت على تدريبهم على هذا الأسلوب. الحقيقة أن هذه ملاحظة دقيقة إلى حد كبير؛ لأن معظم هؤلاء ينتمي إلى مؤسسات أمنية واستخباراتية في إيران.

من تابع ردة الفعل الرسمية الإيرانية قبل أيام على بيان النيابة العامة الكويتية الذي تحدث فيه عن تورط دبلوماسيين إيرانيين يعملون في السفارة الإيرانية في الكويت وبيان السفارة حول ذلك، ثم تصريحات «مرضية أفخم» الناطقة باسم وزارة الخارجية الإيرانية يدرك جيدا نمط تفكير الساسة في إيران ومحاولة التذكي والاعتقاد بأنهم قادرون على مخادعة الجميع، وبخاصة العرب من خلال بعض المزاعم والادعاءات. كما هو متوقع، نفت إيران أي علاقة لها بخلية حزب الله التي تم كشفها في منطقة العبدلي الكويتية، كما كذبت بيان

علمتني تجربة فتح موضوعات نقاش مع كثير من الإيرانيين في الداخل والخارج شيئا مهما يمكن خلاله فهم النمط التفكيري للشخصية الإيرانية الفارسية، أو من تم «فرسنته» من الأعراق الأخرى داخل ما يعرف بجغرافية إيران.

شخصيا أميل كثيرا لسماع وجهة النظر المقابلة وإن اختلفت معها؛ لما يقدمه الطرف المقابل من معلومات غير مباشرة عن الطريقة التي يفكر بها والمؤثرات الخارجية، وما استقر في عقله الباطن من صور نمطية أو أحكام مسبقة، أو توجه معين يتم استدعاؤه في مثل هذه الحالات، وبالتالي يتكون لدى المتلقي المدرك للخلفية الثقافية والاجتماعية والسياسية التي ينطلق منها هذا الشخص المقابل كثير من المعطيات والمؤثرات التي تنمي محصلتنا المعرفية عن المجتمع الذي ينتمي إليه ذلك الشخص.

من هنا، تستطيع استنباط مدى حالة التلقين التي يتعرض لها حتى بنى في مخيلته أفكارا أصبحت عنده حقائق غير قابلة للنقاش، مع أنه قد يكون لا أساس لها من الصحة مطلقا. تجد هذا النوع من الأشخاص يكرر دائما المزاعم ذاتها، حتى وإن قمت بتفنيدها عشرات المرات، ولعل السبب في ذلك يكمن في غيابه عن الواقع،

والتصديق بكل ما يصدر من آلة التلقين الحكومية، وتجهيل الشعب حتى وإن كان ذلك بدرجات متفاوتة. هذا الأسلوب في إدارة البلاد، قاد المجتمع الإيراني إلى تقمص شخصية تتوافق مع التوجه الحكومي ولا تتعارض معه، خشية الاعتقال والبطش والتنكيل، إضافة إلى شخصيته الطبيعية التي تظهر خلف الأبواب المغلقة أو عندما يسافر المواطن الإيراني إلى خارج البلاد، ومن تعايش مع الإيرانيين في الغرب، حتى وإن كانوا قد وصلوا حديثاً من إيران، يجد التناقض الرهيب بين ذلك الشخص والشخصية الإيرانية التي تخرج في وسائل الإعلام المحلية، أو سلوك الشخصيات المرتبطة بالنظام الإيراني بشكل أو بآخر.

النيابة العامة وبيان وزارة الخارجية الكويتية معاً، ولكن الأهم من ذلك محاولة لفت انتباه الشارع الإيراني والإعلام العربي أيضاً إلى فكرة اختلقها إيران تتمثل في الترويج لفكرة المؤامرة لتتحول من مذنب إلى مظلوم. تزعم طهران أن هناك دولة خليجية «السعودية حسب زعمها» تسعى إلى إفساد العلاقة بين الكويت وطهران، وأنها تقف خلف قضية العبدلي، واتهام إيران بالتورط في ذلك، وأن الرياض تسعى إلى السيطرة على الكويت! كذلك صرح رئيس مجلس الشورى الإيراني علي لاريجاني بأن السعودية تستهدف ما تطلق عليه إيران «محور المقاومة»، وأن اتهامات البحرين حول تورط إيران في شؤونها الداخلية مضحكة، واتهامات الكويت تأتي من باب الحقد ضد حزب الله.

وعلاوة على تدخلها في الشأن الداخلي الكويتي والبحريني، ومحاولة زعزعة الأمن والاستقرار في هاتين الدولتين، أساءت هذه التصريحات الإيرانية للكويت مجدداً من خلال اتهام السلطات الكويتية بتلقي الأوامر من الخارج ليس ذلك وحسب، بل وأن الكويت بقدر من السذاجة جعلها تنخدع بمؤامرة دولة خليجية تسعى إلى ابتلاعها. من المؤكد أن القارئ الكريم يتساءل بعد قراءة هذه التصريحات الإيرانية: من سيصدق هذه الخزعبلات، ومن سيعتقد في الداخل العربي أن إيران لا تتدخل في شؤونها الداخلية؟ لا شك أن هذا سؤال منطقي جداً لكل من يترك مساحة للتفكير الحر والمنطقي، ولكن عندما تتم محاولة السيطرة على تفكير مجتمع أو شعب كامل وتطبيق قاعدة «لا أريكم إلا ما أرى»، وبالتالي الحيلولة دون وصول المواطن الإيراني إلى مصادر المعلومات الحرة التي قد تتعارض مع الأسلوب التلقيني الذي يتخذه النظام الإيراني منهجاً له، من خلال حجب مواقع التواصل الاجتماعي مثل «تويتر» و«فيسبوك» و«يوتيوب» ومنع الصحون اللاقطة «الدشوش» وإقرار ما يسمى في إيران بـ«الإنترنت الوطنية» التي تعزل المجتمع الإيراني عن الشبكة العالمية، ومن هنا الانفصال عن العالم الخارجي، فإن النتيجة الحتمية والمحصلة النهائية ستكون القبول



## التضليل الإعلامي الإيراني في حادثة الحرم

تؤكد التقارير الإعلامية أن النظام الإيراني يحاول استغلال هذه الحادثة التي نجمت عن تطورات بيئية وتغيرات مناخية مفاجئة، لخدمة أجندات سياسية قديمة متجددة تستهدف المملكة، وتشكك في قدرتها على إدارة الحرمين الشريفين وحماية ضيوف الرحمن

لأنه افتخاري بهدم المشروعات والأبراج التي يتم تشييدها حول الحرم، وذهب النائب مفيد كيايي نجاد إلى أبعد من ذلك، إذ توقع أن هذه الحادثة ربما تكون متعمدة وليست عرضية.

تؤكد التقارير الإعلامية الصادرة عن وسائل الإعلام الإيرانية المختلفة، إضافة إلى تصريحات المسؤولين هناك، أن النظام الإيراني يحاول استغلال هذه الحادثة التي نجمت عن تطورات بيئية وتغيرات مناخية مفاجئة لخدمة أجندات سياسية قديمة متجددة تستهدف المملكة العربية السعودية، وتشكك في قدرتها على إدارة الحرمين الشريفين وحماية ضيوف الرحمن.

يعلم الجميع أن المملكة جندت ولا تزال كل طاقتها الأمنية والخدمات والتنظيمية للسهر على راحة الحجاج والمعتمرين وجميع قاصدي الحرمين الشريفين، وقدمت نموذجاً مميزاً فيما يسمى بإدارة الحشود والتجمعات، وتسهيل تحرك أكثر من ثلاثة ملايين شخص بكل يسر وسهولة، برغم محدودية المكان والزمان بسبب مناسك الحج تحديدًا، كما

يحاول الإعلام الإيراني استثمار أي حدث ما لمهاجمة المملكة العربية السعودية، ويجند آله الإعلامية لتحقيق هذا الهدف. ولعل ما قامت به تلك الوسائل الإعلامية من حملة شعواء على المملكة بعد حادثة سقوط الرافعة في الحرم المكي الشريف، أحدث دليل على ذلك.

لقد أطلقت وسائل الإعلام الإيرانية كثيراً من التهم التي لم تثبت صحتها، في محاولة منها للتأكيد على أن الحادثة ناجمة عن إهمال من الجهات ذات الاختصاص، وليست بسبب التغيرات المناخية المفاجئة التي شهدتها مكة، خصوصاً منطقة الحرم المكي الشريف.

تزعم المواقع الإيرانية أن هذه الحادثة وقعت نتيجة إهمال السلطات السعودية لأمن ووسلامة الحجاج، كما تدّعي أن الهدف من مشروعات التوسعة مجرد أهداف مادية بحتة.

من جانب آخر، استغل المسؤولون الإيرانيون الحادثة لمهاجمة السعودية، إذ طالب المرجع الشيعي الإيراني آية الله مكارم الشيرازي والنائبة في البرلمان الإيراني

التقنية الحديثة ووسائل التواصل الاجتماعي جميع السبل لكشف الحقيقة بعيدا عن محاولات استغلال الحوادث لخدمة المشاريع السياسية، وعليه فقد شاهد العالم عشرات من مقاطع الفيديو المسجلة التي نشرت على الشبكة العنكبوتية من الأفراد الموجودين في مكان الحدث، قبل وأثناء وبعد سقوط الرافعة، وجميعها تظهر مدى قوة العواصف وغزارة الأمطار، الأمر الذي أكدت عليه نشرات الأحوال الجوية العالمية، وبالتالي، فمن جانب، تدحض هذه الحقائق الراسخة كل المزاعم الإيرانية التي حاولت إظهار الحادثة بأنها متعمدة أو قللت من حقيقة التقلبات المناخية في مكة وقت وقوع تلك الحادثة المؤلمة، ومن جانب آخر، أظهرت حقيقة الدافع السياسي الإيراني الذي حاول استغلال الحدث لمهاجمة المملكة، وما سقوط الرافعة إلا وسيلة تم استغلالها للهدف السياسي.

يعلم الجميع أيضا أن إيران ممثلة في النظام الحاكم قد استهدفت أكثر من مرة حجاج بيت الله الحرام ورجال الأمن عام ١٩٨٧، وأهرقت الدماء المعصومة دون مراعاة لحرمة الزمان والمكان، الأمر الذي يؤكد على واقع الجهات التي تريد الإخلال بأمن الحج وسلامة الحجاج.

على صعيد آخر، تدرك إيران قبل غيرها أن السعودية لا تبحث عن مكاسب مادية من وراء ما تقوم به من خدمات جليلة في الحرمين الشريفين، بل إنها تنفق أضعاف العائدات المالية التي تصل إلى القطاع الخاص ومقدمي الخدمات لضيوف الرحمن، ولم تضع السعودية صناديق للتبرعات عند الأبواب أو تطلب دعما ماليا من دول العالم الإسلامي، بل ترى أن ما تقوم به هو خدمة للحرمين الشريفين والمشاعر المقدسة. أعتقد أن الجانب المالي قد قفز إلى المخيلة الإيرانية انطلاقا من واقع الحال في إيران ذاتها، وبخاصة أن تجارة ما يعرف بالأضرحة والمزارات منتشرة هناك بشكل كبير، وأصبح تزايد أعداد هذه المواقع ظاهرة لافتة للأنظار، الأمر الذي قاد مجلس الشورى الإيراني إلى مناقشة الظاهرة تحت قبته. فبحسب التصريحات الرسمية لبعض المسؤولين الإيرانيين تجاوز عدد الأضرحة والمزارات وما يطلق عليه هناك بـ«البقع المباركة» في البلاد ٤٤٠٠ موقع، ويرتفع هذا العدد سنويا بشكل ملحوظ، ويستنتج من ذلك أن السبب في هذا التزايد غير الطبيعي يعود ربما إلى الحجم الهائل من الأموال العائدة من هذه الأماكن.

إن فكرة مهاجمة طهران للمملكة جعلت النظام الإيراني وآلته الإعلامية ينسيان أو يتناسيا أننا في عصر سرعة المعلومة وتوافرها وسهولة تفنيد المزاعم وكشف حملات التضليل الإعلامي. لقد هيات

## زيارة الملك سلمان تربك النظام الإيراني

الواقع الذي لا مفر منه، هو أن إيران -وغيرها من الدول- لم تعد قادرة على حجب الواقع أو ترسيخ الصور النمطية وشيطة «الآخر السعودي» عبر وسائل الإعلام الرسمي كما هو الحال في السابق

وكعادتها، حاول بعض المواقع الإخبارية جلب أكبر عدد من القراء من خلال صياغة عناوين جذابة بل ولافتة لكل من تقع عينه عليها، بحيث لن يتردد في تصفّح الخبر ومشاهدة مرفقاته. حدث ذلك بالفعل من خلال قيام بعض المواقع الإيرانية كتابة عنوان عريض بهذه الصياغة: «ملك السعودية يتحدث مع حجة إيرانية باللغة الفارسية».

كان الخبر مذيلاً بمقطع زيارة خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز للحاجة الإيرانية وسؤاله عن حالها وتمنياته لها بالسلامة والشفاء العاجل. فيبدو أن المشاهد الإيراني سمع قول الملك -يحفظه الله- «سلامات إن شاء الله» على أنها العبارة الفارسية «بسلامت إن شاء الله» التي تقال في مثل هذه المناسبات، وهما عبارتان متشابهتان كثيراً في النطق، وبغض النظر عن مدى دقة هذا العنوان إلا أنه بدوره أحدث نقاشاً لا بأس به بين القراء. من جانب آخر، استقبل الإيرانيون قرار الملك سلمان بصرف تعويضات مالية لذوي ضحايا حادثة الحرم والمصابين بشكل إيجابي، وغرد كثيرون حول

كنت أتبع بشغف كبير تداول الإيرانيين مقطع الفيديو الذي يظهر فيه خادم الحرمين الشريفين وهو يزور الحاجة الإيرانية «بيوك ننا محقي»، من مصابي حادثة سقوط الرافعة في الحرم المكي الشريف، والذين قام الملك سلمان بزيارتهم في مستشفى النور بمكة. لم أكرث كثيراً بصياغة الخبر وتفاصيله، خصوصاً في المواقع المقربة من النظام الإيراني، بل اتجهت، كما يتكرر ذلك كثيراً في الحالات المشابهة، اتجهت مباشرة لأسفل الصفحة بهدف استعراض تعليقات القراء الإيرانيين على الخبر أو مقطع الفيديو، والنقاش الذي يدور بينهم، بين مؤيد ومعارض ومحيد.

نستطيع القول إن هذا المقطع أحدث حراكاً جيداً في الداخل الإيراني، فلاحظنا تبايناً في وجهات النظر بين القراء الإيرانيين، بين من يقف في خط النظام وبين من يحاول أن يكون أكثر تعقلاً ويفصل بين الخلافات السياسية بين طهران والرياض وبين الموقف الإنساني المتمثل في زيارة رأس الهرم في المملكة العربية السعودية لحاجة إيرانية بسيطة تتلقى العلاج في إحدى غرف المستشفى الواسع بمكة.



ويستحق المواطن الإيراني أن يخرج من سياسة التلقين التي يمارسها الإعلام التابع للنظام الحاكم في طهران.

هذا الهدف النبيل لن يتحقق إلا من خلال إيصال صوت الحقيقة إلى من يبحث عنها بطريقة سهلة وميسرة، فالمعرفة والمعلومة الصحيحة حق مشروع للجميع، بغض النظر عن لونه أو دينه ومذهبه أو عرقه، وللشعوب فيما يسمى بجغرافية إيران الحق كل الحق في الوصول إلى الحقيقة كاملة وخالصة .

الموضوع في استحسان واضح للموقف السعودي الذي قدم ما يعادل ٩٣٠ مليون تومان إيراني لذوي المتوفين والمصابين بإصابات بليغة في حادثة الحرم، ونصف هذا المبلغ للمصابين الآخرين. لم يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل إن بعض الشباب الإيراني أشار بوضوح إلى حادثة تسمم بعض السعوديين في أحد الفنادق بمدينة مشهد، شمال شرق إيران، وتساءلوا عن عدم قيام إيران بتقديم تعويضات لذوي الضحايا والمصابين بحالة التسمم تلك. كما أطلق بعض الشباب الإيرانيين تغريدات انتقدت ضمنيا المستوى المعيشي في إيران، إذ غرد أحدهم قائلا «من الأفضل الذهاب إلى مكة والموت هناك بأمل أن تعيش أسرتي من بعدي حياة كريمة».

بعد انتشار مقطع فيديو الزيارة في كثير من المواقع الإيرانية، كثف المسؤولون الإيرانيون من تصريحاتهم المعادية للمملكة العربية السعودية في خطوة مضادة لبروز أي صورة إيجابية للمملكة في الإعلام الإيراني.

الواقع الذي لا مفر منه، هو أنه لم تعد إيران أو غيرها قادرة على حجب الواقع أو ترسيخ الصور النمطية وشيطة «الآخر السعودي» عبر وسائل الإعلام الرسمي كما هو الحال في السابق. ففي ظل الثورة المعرفية والمعلوماتية التي نعيشها في العصر الحالي، هناك كثير من المصادر التي يمكن الحصول على المعلومة من خلالها، وعلى الرغم من القيود الهائلة التي يفرضها النظام الإيراني على استخدام شبكة الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي مثل تويتر وفيسبوك ويوتيوب ونحو ذلك، بل إن شريحة واسعة من المجتمع الإيراني متعطشة للمعلومة الصحيحة والبعيدة عن أدلجة النظام ومشاريعه السياسية التي تتحكم في وسائل الإعلام المحلية،

## إيران والحج والهروب إلى الأمام

على إيران التخلي عن حشدها المذهبي والسياسي والإعلامي ضد المملكة، وتشكيكها في قدرتها على إدارة الحرمين الشريفين، والشواهد التاريخية تؤكد أن طهران تسعى إلى إثارة الفوضى في مواسم الحج منذ أكثر من ثلاثة عقود

على تحقيق الهدف». لكن، هنا قد يتساءل البعض عن المكان والزمان لانطلاقة تحقق العدالة المزعومة. يجيب مستشار خامنئي بالقول: «لا بد أن يبدأ التحرك من مكة، فنغرق في العلق والعرق، من خلال تحرير الحجاز ومن ثم العراق». مجدداً، يبرز سؤال آخر حول من يقوم بهذه المهمة. المستشار والمنظر ازغندي يملك الإجابة أيضاً، إذ يؤكد أن: «الإيرانيين يشكلون الأغلبية» في تحقيق ذلك.

ربما يكون مستشار خامنئي قاده الحماس الثوري والتعبوي إلى التخلي عن «التقية السياسية» كما حدث مع علي يونسى مستشار الرئيس روحاني عندما قال، إن بلاده بصدد إعادة تشكيل الإمبراطورية الفارسية وعاصمتها بغداد.

عموماً، لا يهمنا ذلك كثيراً، بل الأهم البحث عن الأدلة والشواهد الداعمة لسياسة النظام الإيراني هذه وهي لا تكاد تحصى. فمنذ انتصار الثورة وإيران تعمل على إثارة البلبلة في موسم الحج، وكان الخميني يقول: «إن الجانب السياسي في الحج

عندما تكون المشكلة متمثلة في حالة أيديولوجية واستراتيجية في آن واحد، فإنه يصعب حلها وتحتاج إلى مراجعة من الداخل أو إلى تحجيم من الخارج. هذه المعضلة تتمثل في أيديولوجية يتبناها النظام الإيراني ويبدو أنه لن يتنازل عنها بسهولة. يتمثل ذلك في الاعتقاد يقينا بأن إمام الزمان الغائب «المهدي المنتظر» الذي نصب الخميني نفسه نائباً عنه في هذا العصر، وأطلق على نفسه «نائب الإمام» و«الولي الفقيه» وسار على نهجه بعد ذلك علي خامنئي، لن يعود من غيبته حتى تسيل الدماء في مكة ومنى ويتم تلطيخ جدران الكعبة بالدماء. هذا ليس استقراء أو تجنياً أو تهكماً، بل حقيقة ماثلة لا يمكن إنكارها.

معظمنا شاهد التسجيل المتداول لحسن رحيم پور ازغندي مستشار المرشد الأعلى، وأحد أبرز منظري التيار الأصولي الذي يدير إيران.

يقول ازغندي بالحرف الواحد: «لا تتحقق العدالة في العالم إلا من خلال أمرين: العلق «الدم» بحيث يكثر القتل حتى تسيل الدماء، والجهد أي العمل

فكانت حادثة التفجيرات بمنطقة الحرم، وحادثة نفق المعيصم الشهيرة وغيرهما كثير. وأخيراً، سبق حج هذا العام تهديدات إيرانية بأنه سيكون موسم حج مختلفاً، وكرر الحوْثي وأمين حزب الله اللبناني التهديدات ذاتها؛ ما جعلنا نعيد النظر كثيراً في قراءة مشهد التدافع الذي حدث يوم النحر في مشعر منى، وأخذ جميع الاحتمالات في الحسبان، ومع ذلك نحن في انتظار النتائج الرسمية للتحقيق في الحادثة.

ختاماً، على إيران التخلي عن هذا الحشد المذهبي والسياسي والإعلامي ضد المملكة، وتشكيكها في قدرة السعودية على إدارة الحرمين الشريفين، فالتاريخ والعالم كفيلاً بالرد على هذه المزاعم الإيرانية، والشواهد التاريخية تؤكد أن إيران ما انفكت تسعى إلى إثارة الفوضى في مواسم الحج منذ أكثر من ثلاثة عقود.

من جانب آخر، نجد أن إيران لم تطالب بتدويل مسجد الأقصى حتى يتم تحرير الأراضي الفلسطينية كاملة، كما أنها لم تطالب بتدويل النجف وكربلاء بعد فاجعة جسر الأئمة، ومقتل أكثر من ألف من بين بضعة آلاف وليس ملايين كما هو الحال في موسم الحج. إيران مندفعة سياسياً وإعلامياً وأيديولوجياً، وربما يكون هذا الاندفاع مجرد هروب إلى الأمام قبل ظهور نتائج التحقيقات، وكشف مزيد من نشاطها الإرهابي أمام العالم.

أهم من الجانب الديني والروحي». ولهذا استمر النظام الإيراني منذ ذلك الحين في تعكير صفو الحج، ومضايقة ضيوف الرحمن سواء في المدينة المنورة، أو مكة المكرمة والمشاعر المقدسة.

من جانب آخر، كان الخميني يجتمع بمسؤولي حملات الحج الإيرانية قبل توجههم إلى مكة ليقدم لهم التعليمات، ويحثهم على إطاعة توجيهات قادة الحملات وتنفيذ أوامره، وهذه حقيقة تدعمها كثير من الوثائق والمصادر الإيرانية أيضاً.

علاوة على ذلك، كان رؤساء حملات الحج الإيرانية خلال فترة الحرب العراقية الإيرانية يوجهون الحجاج -وأغلبهم من الحرس الثوري- نحو العدائية تجاه رجال الأمن في السعودية، ويقولون لهم إن رجال الأمن هؤلاء هم الذين يدعمون صدام حسين ويقتلون أطفالكم ويدمرون منازلكم.

من المعلوم أن نتيجة كل هذا الشحن الأيديولوجي برزت عام ١٩٨٦ عندما أحبطت الجمارك السعودية تهريب قرابة ١٥٠ كجم من متفجرات من نوع «C٤» كانت كفيلاً بنسف منطقة الحرم المكي كاملة، وتم تسجيل اعترافات الحجاج الإيرانيين حينها، ولكن أجهزة الأمن السعودية لم تعلن ذلك في حينه خشية حدوث أي ارتباك لدى ضيوف الرحمن. لم ترعو إيران وأصرت على تهديد أمن الحجاج وتعكير صفو هذا النسك مجدداً، فكانت كارثة عام ١٩٨٧ التي أودت بحياة ٤٠٠ شخص من بينهم كثير من رجال الأمن السعوديين وحجاج من دول مختلفة.

بعد تلك الحادثة توقفت إيران عن إرسال حجاجها قرابة ثلاثة أعوام، ولكن لأن إراقة الدماء في مكة تركزت على ثابت أيديولوجي وثوري، كلفت طهران أتباعها وأذرعها ليقوموا بتنفيذ المهمة نيابة عنها،

## رسالة مواطن عربي إلى الشعوب الإيرانية

أيها الإيرانيون: عبّروا عن رفضكم القاطع والحازم لتدخلات النظام الحاكم، بحرسه الشوري وميليشياته، في شؤون دول الجوار والكف عن دعم الجماعات والميليشيات والقوى الإرهابية في اليمن وسورية ولبنان والعراق

من يزد وتبريز وكاشان، وآخرون يفضلون زعفران منطقة القائنات في خراسان على غيره، كما أن فستق رفسنجان، والمصنوعات اليدوية والنحاسية القادمة من أصفهان تحظى بشعبية لا بأس بها. ولكن هل تدركون أن شريحة كبيرة من الشعوب العربية بدأت بالفعل في الابتعاد عن هذا كله، بل إن البعض يطالب علانية بمقاطعة المنتوجات الإيرانية كاملة ومحاصرتها في الأسواق العربية والخليجية؟ نعم قد ترون أنه تصرف قاس ولكن الواقع أن هناك من يرى أنها ردة فعل طبيعية على كل ما هو قادم من الداخل الإيراني، والسبب تصرفات النظام الحاكم الذي يتحدث باسم الشعوب في إيران.

نعم هذا قد يضر فعليا بكم كمواطنين، ولكن لماذا تسمحون أن يسيء النظام إلى سمعتكم ويجعلها سلبية للغاية عند أقرب الشعوب إليكم جغرافيا؟ ماذا اكتسب الشعب الإيراني من العداء الذي يظهره النظام الحاكم في طهران تجاه معظم دول العالم؟ كم دولة صديقة لإيران طيلة العقود الثلاثة الماضية؟ حاليا قد تكون روسيا هي أقرب الدول للنظام الإيراني. الحقيقة أن روسيا تستغل العقوبات لتسيطر على الاقتصاد الإيراني،

بعد رسالتي المتلفزة للشعوب في إيران، أبعث هذه الرسالة التي سوف أتحدث فيها بلسان معظم الشعوب العربية في نظرتها تجاه الشعوب والأقوام في إيران وموقفها من النظام الحاكم هناك. كانت صورة الشعب الإيراني عند جيرانهم العرب جيدة أو على أقل تقدير ليست هناك صورة نمطية سلبية ملتصقة بهم في الداخل العربي، خاصة بين النخب المثقفة وأرباب الفكر، إلا أن تصرفات النظام الحاكم في إيران منذ ١٩٧٩، تسيء حقيقة إلى التاريخ والثقافة والحضارة الإيرانية. لقد ركز نظام ولي الفقيه، وأزعم بأنكم تدركون ذلك جيدا، على البعدين المذهبي والأيدولوجي واستغل ذلك لأهداف سياسية داخلية وخارجية.

نقول للجيران داخل جغرافية إيران؛ نحن كعرب لا نضمر لكم إلا كل الاحترام والتقدير، ليس لدينا أي موقف سلبي تجاهكم ونتمنى أن يكون الأمر كذلك بالنسبة لكم. اعلموا أن من بين العرب من يستمتع بشعر حافظ الشيرازي وسعدي الشيرازي، وهناك من يعشق أشعار جلال الدين الرومي ويتغنى بها كما يطرب البعض للموسيقى الإيرانية والأهازيج الشعبية. هناك أيضا من يزين منزله بالسجاد الإيراني القادم



مع جيرانها الخليجيين، شاهدنا انفتاحا مماثلا من قبل تلك الدول وكانت الوفود الثقافية والتجارية والسياسية تتبادل الزيارات (ملتقى سعدي الشيرازي في طهران صيف ٢٠٠٠ أمودجا). ولكن بعد وصول أحمدي نجاد إلى السلطة تغير السلوك وعادت النزعة العدائية واستمر النظام في تصعيدها حتى يومنا هذا. أيها المواطن الإيراني يظهر لك هذا المثل دون غيره أن السبب في توتر العلاقات هو نظام ولاية الفقيه وليس دول العالم ومن بينها الدول العربية.

نتظر من الشعوب الإيرانية أن تتخذ موقفا يليق بسمعتها وتاريخها وحضارتها، وألا تسمح لشريحة ضئيلة من المجتمع، وصلت إلى السيطرة على القرار السياسي بطرق نعلمها جميعا، بهدم كل ما هو جميل في بلادكم لتجعل شعوب المنطقة تنظر إليكم بكثير من الريبة والتوجس. عبّروا عن رفضكم القاطع والحازم لتدخلات النظام الحاكم، بحرسه الثوري وميليشياته، في شؤون دول الجوار والكف عن دعم الجماعات والميليشيات والقوى الإرهابية في اليمن وسورية ولبنان والعراق والبحرين والكويت والسعودية. أموال الشعب الإيراني تبدد على جماعات لا مستقبل لها ولا تحظى بحاضنة شعبية، بينما المواطن الإيراني يعيش تحت خط الفقر ويبيع أعضاءه لإطعام أسرته. فكروا في ذلك وقلوبنا وصدورنا مفتوحة لإيران نتعايش معها ونبني سويا جسور المحبة والألفة، بعيدا عن النظرة القومية والمذهبية الضيقة، وأتمنى ألا تضطر دول الجوار إلى الركون إلى قاعدة «الجزء من جنس العمل» فتعامل النظام في طهران بالمثل وتتدخل في شأنه الداخلي كما يفعل حاليا، وأنتم أعلم منا بنتائج ذلك إن حدث.

وتدركون جيدا موقف روسيا تاريخيا من إيران منذ حروب ١٧٢٢، ١٧٩٦، ١٨٠٣ و ١٨٢٦ ومواقفها السلبية خلال الثورة الدستورية، وخلال الحرب العالمية الثانية. لذا أعلم جيدا أن العقلية الإيرانية لا تثق في موسكو. بعيدا عن روسيا، هل يفتخر الشعب الإيراني بعلاقة النظام مع الميليشيات والأحزاب المنبوذة داخل دولها مثل حزب الله في لبنان والحوثي في اليمن والوفاق في البحرين وغيرها؟ لن أجيب نيابة عنكم، ولكن أتذكر جيدا شعارات «نه غزه، نه لبنان، جانم فدای ایران» التي رفعتموها عام ٢٠٠٩.

إن الشعب الإيراني الصديق يستحق حياة أفضل على المستويات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية كافة؛ يستحق أن يحظى بقبول لدى شعوب المنطقة؛ يستحق أن يتخلص من البطالة وتضخم الأسعار ووباء المخدرات؛ يستحق أن يعيش بوجه واحد يعبر فعلا عن حقيقته وليس الاتجاه نحو تقمص الأقنعة في الداخل للخلاص من بطش النظام، وينزع ذلك الوجه منذ أن تقلع الطائرة المتجهة إلى أي دولة شرقية أو غربية. لك أن تفكر، أيها الشعب الجار، هل شخصيتك التي تظهر بها في الداخل هي ذاتها في الخارج؟ والأهم لماذا يتم إجبارك على هذا التناقض في أبسط حقوقك؟

قد يقول بعض أبناء الشعب الإيراني إن الخلافات مع دول الجوار بسبب تلك الدول وليس النظام الإيراني. أقول، من حقا أن تفكر هكذا وقد يكون طبيعيا أن تقول ذلك بحكم التضليل الإعلامي الذي يمارسه نظام ولاية الفقيه من خلال التحكم بقنوات المعرفة، فيحجب وسائل التواصل الاجتماعي ويمنع لقطات بث القنوات التلفزيونية التي لا تدور في فلك سياسة النظام وأيديولوجيته. في هذا الصدد، حبذا لو استرجع كل إيراني التاريخ القريب. لن أستهجد بحقبة النظام البهلوي ولا بحقبة الحرب العراقية الإيرانية لأن لها ظروفها وتم تجاوزها، ولكن تذكروا الفترة بين ١٩٩٧ - ٢٠٠٥. عندما أبدت إيران رغبة في تحسين العلاقة

## العرب وإيران وجدلية التعايش

على الساسة في طهران الوعي بأن قاعدة العداء للخارج لتأمين الداخل قد أثبتت فشلها تاريخياً، والتوجه الأكثر أمناً وفائدة يتمثل في مواجهة الاستحقاقات الداخلية بشجاعة والتصالح مع الخارج بنوايا صادقة

الإعلامية الشرسة بسياسة المعاملة بالمثل، وإن كانت في الواقع أقل حدة من نظيرتها الإيرانية. بل إن المتابع بدقة لهذا التراشق الإعلامي يجد أنه ظل عربياً في مستوى معين ولم يصل إلى القيادات السياسية، بينما نجد التصريحات النارية والعدائية تصدر من علي خامنئي، أعلى الهرم السياسي والديني في إيران، علاوة على رئيس الجمهورية والوزراء والقادة العسكريين، وانتهاءً بوسائل الإعلام وكتاب الرأي هناك.

ربما طرح خيار سياسة التعايش والابتعاد عن النغمة العدائية في ظل المناخ السائد في المنطقة فيه شيء من السباحة ضد التيار حالياً، حيث بلغ التوتر مداه وبرز التشنج لكل متابع، ولكن يجب أن نعلم يقيناً أنه لا خيار لإيران والدول العربية، حتى وإن لم يكن لدى الطرفين الرغبة الحقيقية في ذلك في الوقت الراهن، سوى التعايش وتجنب مزيد من التوتر الذي قد يقود نحو تصعيد يعد خسارة للجانبين، فالأفضل أن يكون هذا التعايش جنباً إلى جنب مع التعاون وخلق الفرص المتبادلة من أجل ارتقاء المصالح المشتركة بين الطرفين، لا الصراع الذي نعيشه واقعاً ملموساً. فالواقع يقول إن الجوار الجغرافي يحتم على الجانبين العربي

على الرغم من اللغة المتشنجة المتبادلة بين الإعلاميين العربي والإيراني خلال فترة ليست بالقصيرة والمدفوعة بتطورات سياسية وأمنية تشهدها منطقة الشرق الأوسط إلا أن ذلك لا يمنع من طرح الخيار المقابل لذلك أيضاً. إن لغة التصعيد ومهاجمة الدول العربية والخليجية تحديداً كانت ولا تزال النغمة الطاغية على وجه الإعلام المقروء والمشاهد والمسموع القادم من الضفة الشرقية للخليج العربي.

لم تتوقف وسائل الإعلام الإيرانية عن مهاجمة قيادات دول الخليج العربي ومحاولة إثارة الخلافات والعزف على الوتر الطائفي، وبصور مختلفة، كما يحاول الساسة في إيران استغلال أي حدث، مهما كان حجمه، لتسخير هذه الآلة الإعلامية للتجيش الإعلامي وإطلاق التصريحات العدائية ضد دول الجوار، كجزء من سياسة النظام الحاكم في طهران التي تبدو قائمة على العداء للخارج لمحاولة تأمين الداخل في ظل الاستحقاقات المحلية الكثيرة التي يحاول نظام ولاية الفقيه تأجيلها أو التملص منها.

في المقابل، نجد أن وسائل الإعلام العربية تقف موقف الدفاع عن النفس ومحاولة التعامل مع تلك الحملة

الجانبين، مع ضرورة حل الملفات العالقة والمتراكمة من خلال الدخول في مفاوضات جادة وصادقة بعيدة كل البعد عن التصريحات الإعلامية الفضفاضة و«التقية السياسية» المعتادة وتبادل الأدوار بين الدولة والثورة. إن الأمر في غاية الصعوبة والتعقيد ولكنه ليس مستحيلا ومشوار الألف ميل يبدأ بخطوة ثابتة وصادقة وراسخة نحو المستقبل الذي لا مفر منه، سواء في ظل وجود النظام السياسي القائم حاليا في إيران أو عدمه.

ختاما، لعنا نهمس بهذه الكلمات في أذن من يدير الدفة السياسية في طهران ويتحكم في توجهاتها: إن «قاعدة» العداء للخارج لتأمين الداخل قد أثبتت فشلها تاريخيا، والتوجه الأكثر أمنا وفائدة يتمثل في مواجهة الاستحقاقات الداخلية بشجاعة والتصالح مع الخارج بنوايا صادقة، ومتى ما اهتز هذا التوازن أصبح التهديد مزدوجا، داخليا وخارجيا على حد سواء.

والإيراني خيار التعاون والتفاهم والتخلص من اللغة المتشنجة، خاصة من الجانب الإيراني. ولكن السؤال الأهم الذي يقفز تلقائيا إلى ذهن كل من يفكر في هذا الاتجاه يتمثل في كيفية تحقق هذا التعايش القائم على الاحترام المتبادل بعيدا عن التدخل في شؤون الجانب الآخر.

أكاد أجزم أن طهران لن تواجه صعوبة كبيرة في التزام الدول العربية بحسن الجوار والالتزام بالمبادئ الأساسية والمواثيق الدولية لأي محاولات لردم الهوة بينها وبين الجانب الإيراني، إلا أن الجانب العربي والخليجي تحديدا، ولأسباب عدة، وتجارب كثيرة ومتنوعة، يبقى متوجسا من أي انفتاح على إيران ما لم تعترف إيران وبكل شجاعة بأخطاء الماضي والتعهد بفتح صفحة جديدة مع دول الخليج.

صفحة أساسها احترام استقلالية أراضي هذه الدول والتخلص من التعنت في حل القضايا العالقة وعلى رأسها قضية الجزر الإماراتية الثلاث والتوقف تماما عن تهديد أمن واستقرار مملكة البحرين ودعم الميليشيات الإرهابية في العراق ولبنان واليمن والسعودية، والأهم في نظري إيمان الساسة في طهران أن نجم تشكيل الإمبراطوريات ذات الدوافع القومية والرجسية قد أفل كليا، وأن التفكير في إعادة الماضي ضرب من الجنون وأحلام لا يمكن بأي حال من الأحوال تحقيقها على أرض الواقع، ناهيك عن إمكانية قبول العالم بتوجهات خيالية كهذه.

نستطيع التعايش مع إيران كما تعايشنا معها قبل ثورة ١٩٧٩، فإيران دولة جارة يجمعنا بشعوبها روابط تاريخية ضاربة في عمق التاريخ، والأهم من ذلك أننا لا نستطيع استبدالها بجار أفضل. إن استعادة الثقة بين الجانبين وبنائها بكل شفافية ووضوح وتخلي إيران عن الغرور الطائوسي وإعادة تقييم الأوضاع بكل عقلانية وبعيدا كل البعد عن «الأنا المتضخمة» والنزعة القومية الجامحة؛ تساعد كثيرا في ترميم العلاقة بين



## غرق البيادق الإيرانية في المستنقع السوري

يرى البعض أن دوافع تدخل روسيا عسكرياً في سورية كان بسبب إدراكها فشل إيران في حماية الأسد، وكذلك عدم نجاحها في المحافظة على المناطق الحيوية والاستراتيجية في البلاد

من جانب آخر، دخلت روسيا مؤخراً على خط الصراع في سورية، ورمت بثقلها العسكري والاستخباراتي، بأمل إنقاذ بشار الأسد بعد أن أصبح على حافة السقوط. قد يحمل هذا التدخل شيئاً من الأمل والمبشرات للنظام السوري إلا أنه تحول إلى نذير شؤم على القوات الإيرانية في الداخل السوري. فمع تدخل روسيا عسكرياً في سورية وقيامها بعمليات عسكرية تحت مزايم محاربة تنظيم داعش «تستهدف في واقع الأمر المقاومة الشعبية السورية المناهضة للنظام السوري»، نجد أن إيران أيضاً تضررت بشكل مباشر أو غير مباشر من ذلك. فإذا ما أردنا توسيع دائرة القراءة للمشهد السوري بعد التدخل الروسي، واستعراض التحليلات المختلفة لدوافع ذلك في هذا التوقيت تحديداً، خصوصاً مع تقدم ملحوظ على الأرض للمعارضة السورية، وتقلص حجم المناطق التي يسيطر عليها النظام، يرى البعض أن تدخل روسيا عسكرياً في سورية كان بسبب إدراكها فشل إيران في حماية الأسد، وكذلك عدم نجاحها في المحافظة على المناطق الحيوية والاستراتيجية في البلاد. من المؤكد أن روسيا تهدف من وراء تدخلها العسكري

الأسبوع المنصرم حمل أخباراً سيئة للنظام الإيراني، فخلال أقل من ١٠ أيام خسرت إيران ٦ شخصيات من صفوة الحرس الثوري وقياداته، كانت تشارك في المعارك القائمة في سورية. النظام الإيراني يؤكد أن مشاركة عناصر الحرس الثوري تنحصر في تقديم الاستشارات لجيش بشار الأسد والقوى الأمنية المرتبطة به، إلا أن واقع الأمر يقول غير ذلك، والشواهد والدلالات أكثر من أن يتم سردها في هذا المقال.

لقد تورطت إيران في المستنقع السوري على أصعدة عدة، فهناك الاستنزاف الهائل للموارد المالية، خلال العبء الذي يمثله نظام بشار الأسد على إيران، إذ يقدر حجم الدعم الإيراني للنظام السوري قرابة ١٥٠ مليار دولار، كما أن إيران خسرت كثيراً دبلوماسياً وسياسياً وشعبياً، وأصبحت صورتها حالكة السواد بين معظم المجتمعات والشعوب في المنطقة.

الأخطر من ذلك كله تورط قواتها، ممثلة في الحرس الثوري و«فيلق القدس» تحديداً، علاوة على الميليشيات التابعة لها والقادمة من لبنان والعراق واليمن، في الصراع السوري والإسهام في إبادة الشعب، خلال الاصطفاف إلى جانب النظام الدموي.



ماليا وعسكريا في معركة بعيدة عن حدودها الجغرافية، ولا تشكل خطرا على الأمن القومي الإيراني، وفي ظل استمرار تساقط صفوة القيادات العسكرية، سيكون مثيرا للتساؤلات بين نخب المجتمع الإيراني، خصوصا أن الآمال حاليا معقودة على رفع العقوبات وتحسن المستوى المعيشي للمواطن، إلا أنه في ظل استمرار هذا الاستنزاف وخسارة الكوادر القيادية المدربة، وحديث الرئيس الإيراني عن الحاجة إلى وقت ليس بالقصير لتعافي الاقتصاد المحلي؛ فإن هذه الآمال الشعبية ربما تتبخر سريعا، ما ينعكس سلبا على المواطن، وبالتالي تتزايد التساؤلات الموجهة نحو النظام السياسي في ظل غياب إجابات شافية ومقنعة للداخل قبل الخارج .

هذا إلى حماية مصالحها، والمحافظة على آخر نقاط نفوذها في الشرق الأوسط، وهذا ربما يتقاطع مع الأهداف الإيرانية في سورية أيضا، بحكم موقعها الجغرافي وأنها تشكل حلقة الوصل جغرافيا مع حزب الله، ذراع طهران في لبنان، إلا أن الجانب الإيراني يستخدم أدوات ووسائل تقود نحو تفاقم الصراعات في المنطقة، من ذلك التركيز على البعد الطائفي والأيدولوجي.

من هنا، يثير كثيرون سؤالا يتمحور حول: هل تهدف روسيا بالفعل إلى إضعاف قوة إيران في سورية، وبالتالي تحجيم دورها السياسي والعسكري هناك، وعليه اعتبار موسكو قد تخلصت بشكل أو بآخر من عدد من رموز الحرس الثوري في سورية خلال فترة وجيزة؟

من جانب آخر، خرجت تسريبات وتحليلات قبيل بدء سلسلة خسائر الحرس الثوري الإيراني في سورية تحدثت عن خلافات حقيقية وعميقة بين ضباط إيرانيين عدة، من بينهم العميد حسين همداني المعروف بتميزه في حرب العصابات وإخماد الانتفاضات والحراك الشعبي، وقائد فيلق القدس الجنرال قاسم سليماني. تتمحور هذه الخلافات، وفقا للتسريبات، حول أسباب فشل القوة الإيرانية والمليشيات التابعة لها في سورية في ترجيح الكفة لمصلحة النظام بشار والهزائم على جبهات عدة في الداخل السوري، ومعارضة الضباط الإيرانيين لأي تدخل عسكري روسي في سورية، ورفضهم توجيهات سليماني وأوامره بالتعاون مع الروس.

بسبب هذه التسريبات اتجه البعض نحو نظرية المؤامرة وقيام سليماني بالتواطؤ مع الروس أو التخلص منهم بطريقة أو بأخرى، واستبدالهم بقياديين جدد لضمان استمرار السياسة الإيرانية تجاه سورية.

بعيدا عن هذا كله، وبغض النظر عن دقة هذه السيناريوهات المطروحة من عدمها، الواقع يقول إنه على المستوى الداخلي الإيراني، سيكون استنزاف إيران

## جدلية القومية والمذهبية في العلاقة مع إيران

بعد ثورة ١٩٧٩ حاول الملالي إخفاء النزعة القومية تحت عباءة المذهبية على نسق الدولة الصفوية تقريبا، لكن خطابات المسؤولين في إيران تكشف جانبا كبيرا من حقيقة أن النزعة القومية لا تزال قائمة

دخل على كسرى ملك الفرس وجد عنده وفود الروم والهند والصين، وقد أخذ كل وفد يذكر في فخر ملوكهم وبلادهم، فالتفت كسرى إلى النعمان وقد أخذته عزة الملك فأخذ يعدد مفاخر أهل الصين والروم والهند والترك، وبعد أن فرغ من ذلك بدأ بالحط من قدر العرب وعاداتهم وتقاليدهم وطبيعة حياتهم وشظف عيشهم. وبعد أن فرغ كسرى من ذلك رد النعمان بن المنذر عليه وفند كل كلمة قالها كسرى ضد العرب وأبرز مكانتهم وقوتهم، وكيف أن تلك العادات التي يراها كسرى من المثالب تعد من المفاخر للعربي وقال: «إن أي أمة نقرنها بالعرب إلا فضلتها».

من هذه القصة التي سبقت ظهور الإسلام يتضح جلياً أن الصراع القومي بين العرب والفرس متجذر بعمق التاريخ، إلا أنه قد خفت بعدما عرف بالحركة الشعبية (الفترة بين القرنين التاسع والحادي عشر)، ثم عاد بشراسة مع منتصف القرن الثامن عشر، حيث ظهور الحركات القومية في الغرب، ثم تأثر بها بعد ذلك كثير من شعوب الشرق، ويتحمل الاستشراق الغربي جزءا كبيرا من ذلك.

خلال القرن التاسع الميلادي لعبت مدارس الاستشراق

كثيرا ما يطرح السؤال حول الصراعات العرقية والمذهبية والدينية في العالم، ومنطقة الشرق الأوسط على وجه التحديد، بسبب الأوضاع التي تعيشها المنطقة وطبيعة العلاقات السياسية، ويزداد هذا النقاش سخونة عند الحديث عن العلاقة بين العرب والفرس. البعض يرى أن الخلاف مع إيران بسبب المعتقد الذي يتبناه النظام الإيراني الحالي ذو الصبغة الطائفية الواضحة من خلال الإعلان دستوريا أن البلاد شيعة إثني عشرية، وهي بذلك تركز في المقام الأول على الطائفية الضيقة على الرغم من وجود تنوع ديني ومذهبي واسع في البلاد. آخرون، وأنا أحدهم، يرون أن الخلاف قومي بالدرجة الأولى، وذلك ببساطة لأن الصراع القومي بين العرب والفرس قد سبق ظهور الدين الإسلامي، ناهيك عن المذهبية التي ظهرت في القرون المتأخرة، ولذلك أنتجت النزعة القومية كل ما ترون من نزاعات مختلفة ومتنوعة والهدف واحد لأن المحرك في الأساس واحد. من الشواهد الواضحة الداعمة لهذا المنحى ما ذكره صاحب كتاب «العقد الفريد» حول النقاش الذي دار بين ملك الحيرة وكسرى. خلاصة ما ذكره ابن عبدربه الأندلسي أن النعمان بن المنذر ذهب إلى المدائن فلما

قبل دخول الإسلام.

بعد تشكل الدولة البهلوية وصلت النزعة القومية وفوبيا الآخر العربي «عربوفوبيا» ذروتها، وتمت معاداة كل ما يمت للعرب ولغتهم وثقافتهم بصلة، وقد استمر ذلك حتى منتصف القرن العشرين. وبعد ثورة ١٩٧٩ التي أوصلت الملالي إلى الحكم حاول النظام الجديد إخفاء النزعة القومية تحت عباءة المذهبية على نسق الدولة الصفوية تقريبا، ولكن خطابات وتصريحات المسؤولين في إيران تكشف جانبا كبيرا من حقيقة أن النزعة القومية والموقف العرقي لا يزال قائما.

خلاصة القول، إن الخلاف مع إيران لم يتغير في جوهره، بل اختلف ثوبه الذي يرتديه حالياً وفقاً للظروف التاريخية والسياسية. بل يمكن القول إن العنصر المذهبي زاد من توهج الصراع وأضرمت النيران بين ضفتي الخليج العربي، ويجب أن يدرك العرب والفرس على حد سواء أن لا خيار لهم سوى التعايش، فالجوار الجغرافي عامل لا مفر منه، ولن يستطيع أي طرف تغيير هذه الحقيقة، وإذا كان التعايش ممكناً في ظل النزعة القومية فقد تراجعت فرصه مع وجود النظام الذي يعزف على وتر القومية والطائفية على حد سواء، كما أن من يحلم بإعادة أمجاد قد ذهبت لغير رجعة لن يتقدم خطوة واحدة نحو التعايش والتسامح وحسن الجوار، كما أن العيش بسلام يكمن في التوقف عن مطاردة السراب والأحلام الإمبراطورية البائدة.

المرتبطة بقوى الاستعمار دورا محوريا في إشعال فتيل الصراع القومي من جديد، وذلك ضمن استراتيجية سياسية حاولت الإخلال بالعلاقة بين شعوب الشرق، فظهرت التصنيفات اللغوية (سامية وهندية وأوروبية)، ثم التقسيمات العرقية تبعا لذلك، وظهرت نظرية العرق الآري التي ربطت الفرس بالغرب عرقيا بعد الربط اللغوي. لقد بدأ النزاع القومي الجديد وما يمكن أن نطلق عليه حركة «الشعوبية الجديدة» neo-Sho'ubism لغويا على يد القاضي واللغوي البريطاني سير وليم جونز، ثم عرقيا من قبل ماكس مولر، ثم آرياً على وجه التحديد على يد القائد الألماني أدولف هتلر الذي اعتبر إيران الموطن الأصلي Proto-land للعرق الآري الذي من وجهة نظر أتباع النزعة النازية الأكثر عراقية ونقاء وفي مرتبة أعلى من سائر الأعراق. لقد استدرجت مدارس الاستشراق الفرس نحو الغرب بشكل مكثف، وعزفت مدارس الاستشراق على الجانب التاريخي والحضاري، وبدأت حملات التنقيب عن الآثار، بل ذهبوا إلى تزوير التاريخ فتلقف القوميون الفرس ذلك واعتبروه حقيقة، ونقلوه إلى المناهج الدراسية وأصبح يدرس للتلاميذ في المراحل التعليمية المختلفة.

وفي الربع الأخير من القرن التاسع عشر خرج قوميون مرتبطون بالبلاط القاجاري يطلقون على الإسلام «دين العرب» وأوغلوا في العداء للإسلام إلا أن البعض قد امتدح الدولة الصفوية التي من وجهة نظرهم قد جعلت لإيران مذهباً (التشييع الصفوي) يميزها عن العرب. لقد ظهر في تلك الحقبة مصطلح «التطور العكسي» ورأوا أن الإسلام والثقافة العربية قد أعادا إيران إلى الخلف بعد أن كانت متميزة حضارياً وثقافياً على كثير من الأمم، بل إن مثقفا قوميا إيرانيا يدعى «فتحعلي آخوندزاده» قد قال إن ما تعيشه دول الغرب من تقدم في ذلك العصر (القرن التاسع عشر) أقل بكثير مما كانت إيران قد توصلت إليه وعاشته

## الوضع المعيشي في إيران بين الواقع والحلم

يعيش المواطن الإيراني مستوى معيشيا متواضعا جدا لا يتناسب مع ما يمتلكه بلاده من ثروات، فكيف ستتصرف إيران في تعاملها مع القضايا الداخلية؟ وكيف ستستخدم الأموال المفرج عنها وكذلك عائدات النفط؟

طالب من المراحل الدراسية ما قبل نهاية المرحلة الثانوية. أيضا تتحدث الأرقام عن تسرب ٦٥ ألف تلميذ تتراوح أعمارهم بين ٦-٩ سنوات، ٥٠٪ منهم من محافظتي سيستان وبلوشستان، وكرdstan. علاوة على هذه الأرقام التي قد تفاجئ كثيرين، تتجاوز البطالة في إيران ٣٠٪، ونسبة الحاصلين على الشهادة الجامعية من هؤلاء تصل إلى ٤٠٪.

سعى جزء من الشعب الإيراني إلى التغلب على المعاناة والهروب من الواقع المؤسف عبر اللجوء إلى المخدرات، وبالتالي أصبح المجتمع يعاني من ظاهرة تعاطي المخدرات والإدمان عليها إلى درجة عدم خلو أسرة واحدة من وجود مدمن أو متعاط بين أفرادها. هذه الظاهرة أدت إلى نتائج تتجاوز المتعاطين والمدمنين إلى الأسر، فقد طالعنا الصحف الإيرانية بقصص بعض المتعاطين الذين قاموا ببيع بعض أطفالهم بهدف الحصول على بعض المال لشراء جرعة من هذه السموم أو لمحاولة البحث عن حياة أفضل لأطفالهم، وفي الوقت ذاته الحصول على بعض المال. مع الأسف الشديد، يبدو أن النظام الإيراني قد أعجبه هذا الوضع، كيف لا والحرس الثوري يتاجر في المخدرات

يقبع النظام الإيراني على ثروة هائلة ومتنوعة، فقد أنعم الله على تلك البلاد بالكثير من الثروات من النفط والغاز والأراضي الخصبة للزراعة والمياه من أنهار وبحيرات ونباتات، ومعادن ومحاصيل زراعية مختلفة، و ثروات بحرية متنوعة. مع ذلك يعيش المواطن الإيراني مستوى معيشيا متواضعا جدا لا يتناسب وما يملكه بلاده من ثروات.

تشير النسب والأرقام القادمة من الداخل الإيراني حول المستوى المعيشي إلى حقائق مخيفة لا يمكن توقع أن تكون قادمة من دولة ثرية مثل إيران. فبحسب هذه الإحصائيات يعيش ٤٠٪ من الشعب بشكل عام - ٥٠٪ من المتقاعدين، ٧٥٪ من المعلمين، ٩٠٪ من العمال- تحت خط الفقر أو الفقر المدقع. من جانب آخر، انعكس الوضع المعيشي المتردي في إيران على التلاميذ والطلاب في البلاد حيث تشير الإحصائيات أيضا إلى ظاهرة تسرب الطلاب من مراحل التعليم الأولى وترك مقاعد الدراسة والاتجاه نحو الالتحاق بالعمل بسبب الفقر ولمساعدة أسرهم على التغلب على الصعوبات المعيشية. وفقا لتصريحات مساعد وزير التعليم الإيراني، خلال العام الماضي فقط تسرب أكثر من ثلاثة ملايين



على المستوى الداخلي والخارجي ويمول من عائداتها -إلى جانب المتاجرة في ممنوعات أخرى- عناصره خارج البلاد والمليشيات التابعة له.

يتساءل كثيرون: ما الذي يجعل المجتمع الإيراني يعاني بهذه الحالة وبخاصة وهو يرى شعوب المنطقة من حوله تنعم بالكثير الذي كان الإيراني ينعم بمثله أو قريب من ذلك قبل بضعة عقود؟ لماذا يتم تجهيل الشعب وترتفع نسبة الأمية على عكس بقية دول العالم؟ لماذا انحدرت الأخلاقيات، وفقاً لتصريحات عدد من رجال الدين وعلماء الاجتماع في إيران وانسلخ كثيرون من المعتقدات والقيم التي كانوا يؤمنون بها إلى درجة قيام كثير من رموز المجتمع بالتحذير من هذه الظاهرة التي عصفت بالمجتمع؟ أخيراً، كيف ستصرف إيران في تعاملها مع القضايا الداخلية، وكيف ستستخدم الأموال المفرج عنها وعائدات النفط في حال قامت طهران برفع صادراتها من النفط؟ إلى جانب هذه التساؤلات المنطقية، هناك أسئلة أخرى كثيرة تحتاج المناقشة ولكن الأهم أن تفكر فيها الشعوب الإيرانية وتبحث عن مخرج من هذه الأصناف من المعاناة المتراكمة.

من جانبنا، نستطيع القول إنه عندما وصل سعر النفط سابقاً إلى ١٤٠ دولاراً للبرميل، لم يتحسن حينها المستوى المعيشي للمواطن الإيراني، والآن يتحدث روحاني عن عدم إمكانية تحسين الوضع الاقتصادي في المستقبل القريب على الرغم من الوعود التي أطلقها قبل نحو عامين بهدف إقناع الشعب بضرورة انتخابه أولاً ثم التوصل لاتفاق نووي مع الغرب ثانياً. عليه يبدو أن معاناة المواطن الإيراني ستستمر في توجهاتها الحالية وسيصر النظام على توجيه الأموال من عائدات النفط والغاز وغيرها إلى الميليشيات والأحزاب المرتبطة به في منطقة الشرق الأوسط، أما المواطن الإيراني فسوف يردد: «يبقى الحال على ما هو عليه أو قد يتجه إلى الأسوأ وتتبخر الأحلام».

## نظام ولاية الفقيه يحتقر الشعوب في إيران

تتكرر استفزازات حكومة طهران للشعوب غير الفارسية والأقليات الدينية، ما يؤكد تجذّر مشكلة التصنيفات والطبقية في المجتمع الإيراني، مدعومة بسياسة أيديولوجية وفئوية واضحة

الإيراني على مقدرات البلاد، وتتحكم في السياسات الداخلية والخارجية، كما نقلت وسائل الإعلام المحلية الرسمية من وسيلة لكل أطراف المجتمع ومكوناته إلى إعلام يتحدث باسم أثنية محددة، ليس ذلك فحسب، بل ويمارس كثير من أفرادها -خاصة من يتسّم منهم المناصب العليا- العنصرية بشكل مباشر وغير مباشر ضد بقية السكان.

قامت القناة الإيرانية الرسمية الثانية يوم الجمعة الماضي ببث حلقة من برنامج «فيتليه» التلفزيوني، عرض فيها كثير من الإهانات والسخرية من القومية الآذرية في إيران التي تمثّل قرابة ٢٤٪ من مجموع السكان، والإشارة إلى أنهم أجنب يحتاجون إلى مترجم في العاصمة طهران، علاوة على وصفهم بالأغبياء الذين لا يفرقون بين فرشاة الأسنان وأدوات تنظيف الحمامات. هذا التوجه العنصري أدى إلى موجة من الاعتراضات ومسيرات الغضب بين الشعب الآذري، قاد إلى مصادمات بين الحرس الثوري وقوات البسيج، والمتظاهرين.

سارعت وسائل الإعلام المحلية في إيران إلى اعتبار هذا الحدث سهواً وغير متعمد، مبينة أنه تم إرسال خطاب توبيخ إلى نائب مدير البرامج الذي يعدّ المشرف العام

يعدّ التنوع العرقي والديني أمراً يثري الدول والمجتمعات ونقطة إيجابية تضيف كثيراً من التنوع الثقافي والأدبي لتلك الشعوب. إلا أن الحالة الإيرانية ربما تكون استثناء في هذا الصدد.

لن نتحدث عن الإساءات الإيرانية لدول الجوار وشعوبها دينياً ومذهبياً وعرقياً، بل سنركز على الإهانات التي تطال الشعوب والأقليات الدينية والمذهبية في الداخل الإيراني.

منذ انتصار الثورة عام ١٩٧٩، قامت الدراما ووسائل الإعلام الإيرانية بتوظيف الأبعاد المختلفة للتأثير على الرأي العام، والثقافة الجماهيرية، وفقاً للإطار السياسي الإيراني الخاضع لأيديولوجيا ولاية الفقيه.

لذا، أصبح المواطن من الشعوب غير الفارسية في إيران مواطناً من الدرجة الثانية، إذ يعاني أبناء هذه الشعوب من الاضطهاد والحرمان والتمييز العنصري، على المستويات التعليمية والثقافية والتاريخية والدينية والأدبية.

لم يقتصر الأمر على ذلك، بل تجاوز إلى احتقارهم وإهانتهم على المستوى الفني والإعلامي الرسمي. لعل السبب قد يكمن في سيطرة فئة قليلة من الشعب

على البرامج.

الواقع يؤكد أن هذه ليست المرة الأولى التي يتم فيها السخرية من الشعوب غير الفارسية في إيران، بل سبق أن شهد إقليم أذربيجان احتجاجات عام ٢٠٠٦ بعد وصف صحيفة «إيران» الرسمية الآذريين الأتراك بـ«الخنافس».

الشعب العربي في الأحواز «عربستان» تعرض أيضا لكثير من المضايقات والإهانات، بسبب انتمائه العرقي، إذ قامت سلطات الأمن الإيرانية قبل أشهر عدة باعتقال مئات الأحوازيين بسبب ارتدائهم الزي العربي خلال مباراة كرة قدم جمعت فريق «فولاذ» المحلي بفريق الهلال السعودي.

كما يتم إطلاق النكت على الأحوازيين ويتم السخرية من لهجتهم عندما يتحدثون باللغة الفارسية.

علاوة على ذلك، في ٢٠١٤ تعرضت القبائل البختيارية للإهانة خلال إحدى حلقات مسلسل تاريخي يسمى «سرزمين كهن» (الأرض العتيقة)، وكان يعرض على التلفزيون الرسمي الإيراني، مما أثار احتجاجات واسعة وأكد المحتجون أن المسلسل يصور عائلة بختيارية على أنها فاسدة وحديثة الثراء، بل ذهب المسلسل إلى أبعد من ذلك باعتبار هذه القبائل لعبت دورا سلبيا في تاريخ إيران، وأنهم كانوا في خدمة الاستعمار الإنجليزي، أي أنهم كانوا خونة، وهو ما يمثل إهانة لهم ولجذورهم التاريخية.

لم تقتصر الإهانات من وسائل الإعلام الرسمية في إيران على الجانب الأثني، بل تجاوزت إلى الأقليات المذهبية. ففي ٢٠١٠، أثار المسلسل التلفزيوني «مختار نامه» (رسالة المختار) انتقادات بين أتباع المذهب أهل السنة والجماعة في البلاد، بسبب تصويره شخصيات إسلامية تاريخية، وبعض الصحابة بشكل سلبي للغاية، إذ أصدر إمام جماعة أهل السنة في إقليم «سيستان وبلوتشستان» مولوي عبدالحميد فتوى «تحرم مشاهدته»، وذلك بعد اجتماعه بكبار

شخصيات السُّنة في الإقليم.

يذكر أن هذا المسلسل كان يبث على القناة التلفزيونية الرسمية الأولى وقناة القرآن الكريم. عموما، الأمثلة في هذا الصدد كثيرة جدا.

ختاما، تتكرر استفزازات الحكومة المركزية في طهران للشعوب غير الفارسية والأقليات الدينية والمذهبية، الأمر الذي يؤكد على مدى تجذر مشكلة التصنيفات والطبقة في المجتمع الإيراني، مدعومة بسياسة أيديولوجية وفئوية ومناطقية واضحة، تضع جزءا من مكونات المجتمع في مكانة عالية ومرموقة على حساب بقية الأطياف، مما يقود في نهاية المطاف إلى ترسخ العداء والبغضاء بين المكونات المحرومة تجاه الأقلية التي تعبث بمقدرات وثروات تلك الشعوب من جانب، ومعاملتهم كمواطنين من الدرجة الثانية من جانب آخر،

وسيستمر هذا الوضع ما استمرت الرؤية الحالية القائمة على تهميش نصف الشعب، وممارسة العنصرية ضده على المستوى الرسمي والإعلامي والثقافي والديني.

## إيران وفلسفة الأمن السياسي والإعلامي الخليجي

لدينا عجز كبير في إنشاء قوة ناعمة تخدم مصالحنا في الغرب، فلم نوجد لوبيات خليجية قريبة من دوائر صنع القرار الأمريكي والأوروبي ومراكز الدراسات الاستراتيجية، ولم نعمل على تصحيح الصور النمطية الخاطئة عن مجتمعاتنا

والسياسية والأيدولوجية، بل سأركز على الجانب الإعلامي تحديدا. تملك إيران آلة إعلامية ضخمة تمهد الطريق للمشروع الفارسي الطائفي وتعمل على إنجاحه حتى في أضعف مراحله. قنوات ومواقع تبث وتكتب بلغات مختلفة، تروج للشائعات ضد شخصيات سياسية، وتتهم رموزا دينية من الجانب المقابل بإصدار فتاوى عجيبة ومضحكة أحيانا وهي في واقع الأمر لم تصدر منهم مطلقا. كما تتدخل هذه الوسائل الإعلامية في الشؤون الداخلية للدول العربية ليل نهار، تؤجج هنا، وتصعد هناك، تحاول أن تضرب المجتمعات العربية ببعضها البعض ليتحول الصراع داخليا ويتم نسيان الخارج، بأسلوب مماثل تماما لما تفعله إسرائيل منذ ١٩٤٨. أما في وسائل التواصل الاجتماعي وما يعرف بالإعلام الجديد، فحدث ولا حرج. فقد جند الحرس الثوري الآلاف من عناصره علاوة على ثلة من ضعاف النفوس والمرترقة من بعض الدول العربية لينطلقوا في تويتر والفيسبوك والإنستغرام وغيرها بأسماء عربية وخليجية ولهجات محلية وصور تعريفية رمزية أو مسروقة من الإنترنت، كل ذلك بهدف بث الشائعات وإنشاء الهاشتاقات ضد الأنظمة السياسية وبعض

أعتقد أن من أهم خصائص الاستراتيجية العامة للأمن السياسي: وضوح الرؤية، والعمل على تفكيك هذه الرؤية عبر برامج عمل قصيرة ومتوسطة وبعيدة المدى. كذلك يحتاج ذلك مرحلة أهم وهي المتابعة والإشراف على تنفيذها وتقييمها وتقويمها. ومن خصائص الأمن السياسي خارجيا العمل على وجود إعلام قوي ومقنع يصل إلى الآخر، كما تحتاج استراتيجية الأمن السياسي إلى قوة ناعمة قريبة من صناع القرار العالمي، أما داخليا فالأمن السياسي يحتاج لشفافية وتلمس للمشكلات والعمل على حلها قبل تفاقمها.

في المجموع، من أجل حماية نفسها وتحسينها، تحتاج كل دولة قوة عسكرية واقتصادا متينا، ومجتمعاً واعياً ومدركا للتطورات والمتغيرات من حوله.

عند الحديث عن إيران والدول العربية من مفهوم الأمن السياسي والإعلامي، يعلم الجميع أن لدى إيران مشروعا واضحا المعالم تجاه دولنا وتم إقرار برامج عمل وخطط على مدى قريب ومتوسط وبعيد. لذلك يمكن اعتبار عملها مؤسسيا بالدرجة الأولى، بغض النظر عن جدواه وإمكانية تطبيقه أو ما حققه طيلة العقود الثلاثة الماضية. لن أتحدث عن الجوانب العسكرية



الدراسات الاستراتيجية، كما لم نعمل على تصحيح الصور النمطية الخاطئة عن مجتمعاتنا، ناهيك عن غياب قنوات تلفزيونية تخاطب الرأي العام الغربي وتسوق لقضايانا العادلة. هذا الغياب جعل الخصوم أكثر حضوراً، حتى وإن كانت حججهم ضعيفة وواهية، فليس هناك من يفندوها ويكشف عورها ويخلع الحجاب عن طائفيتها وعنصريتها.

أما داخليا، وهو الأهم في نظري، فيمكننا القول، ووفقا لما نعيشه بشكل يومي على شاشات التلفزة ووسائل الإعلام الأخرى ومواقع التواصل الاجتماعي، أن الأمن المجتمعي مهزوز بسبب الصراع تحت مظلات حزبية ومناطقية وجهوية وأيديولوجيات محلية ومستوردة وانشغلنا بصراعاتنا الداخلية ونسينا الخارج، كما نسينا الكيان الأكبر وضرورة الدفاع عن مصالحه ومواجهة الحملات المسعورة الموجهة ضده على عدة جبهات ولأهداف مختلفة ومصالح متباينة ولكن جميعها تستهدف دولنا وشعوبنا في نهاية المطاف.

شرائح المجتمعات العربية ليزداد الصراع وترتفع معدلات الحقد والبغض بين هذه الفئات، والهدف لا يخفى على كل ذي لب.

في المقابل، يتساءل كثيرون: ما المشروع الخليجي المواجه لنظيره الإيراني وهل هناك فعلا استراتيجيات خليجية للوقوف في وجه الأطماع الفارسية؟ هل لدى الدول العربية والخليجية تحديدا برامج وخطط تنفذ هذا المشروع إن وجد وتعمل على تقييمه بشكل دوري؟ في نظري أن الإجابة بالنفي في كلتا الحالتين، ولذا نرى أن المشروع الإيراني - باستثناء عاصفة الحزم وإعادة الأمل اللتين تعملان بقوة على بتر الذراع الإيراني في اليمن - لم يجد ما يوقفه أو يعيده إلى الداخل لمواجهة الاستحقاقات المحلية التي يتهرب من مواجهتها. السبب في نظري ليس ضعف هذه الدول أو قوة إيران، إطلاقاً، إن ذلك يعود إلى غياب الرؤية والهدف. هذا الواقع أظهر إيران كدولة قوية وهي ليست كذلك، ولكن عدم توحيد الجهود وتناغم القراءة السياسية الخليجية من التحركات الإيرانية وعدم الاتفاق على إذا ما كانت إيران تشكل تهديدا وجوديا أو تهديدا أمنيا وسياسيا لدول المجلس أو أنها مجرد منافس إقليمي يعمل على حماية مصالحه واستغلال الفراغ الاستراتيجي المتاح في المنطقة بما يخدم تطلعاته القومية والمذهبية وسيبقى في هذا الإطار دون تطور مستقبلي يشكل خطرا على الكيانات الخليجية. بسبب هذا الموقف السياسي الخليجي المتباين لا نجد إعلاما خليجيا لديه استراتيجية إعلامية واضحة المعالم والأهداف تواجه الآلة الإعلامية الإيرانية، وبخاصة ونحن في عصر يلعب فيه الإعلام الدور الأبرز على كافة الأصعدة.

أما على الصعيد الدولي، فلدينا عجز كبير في إنشاء قوة ناعمة تخدم مصالحنا في الغرب. فلم نعمل على خلق لوبيات (قوى ضغط) خليجية قريبة من دوائر صنع القرار الأميركي والأوروبي وبيوت الخبرة ومراكز

## الأسر الإيرانية تبيع أطفالها والشعب ينتظر الفرج

تلجأ بعض الأسر الإيرانية إلى بيع فلذات أكبادها، للحصول على دراهم معدودة يتم استخدامها إما للصرف على بقية أفراد الأسرة، أو تأمين الآفات والسموم التي أدمن عليها الأبوان كلاهما أو أحدهما

من تعاسة مالية واجتماعية، بينما يقف النظام الإيراني موقف المتفرج دون أن يحرك ساكناً. ظاهرة بيع الأطفال في إيران ليست محصورة في المدن الكبرى، مثل طهران، بل وصلت إلى محافظات وقرى مثل «ساري» و«آمل» في شمال إيران. فعلى سبيل المثال، تطالعنا إحدى الصحف هناك بقصة عائلة إيرانية في طهران لديها طفل واحد، ثم حملت الأم وأنجبت طفلين آخرين «توأم»، مما اضطر العائلة التي تعاني من الفقر ولا تملك قيمة الحليب إلى بيع أحد الطفلين حديثي الولادة! نعم، لقد قررت العائلة بيع هذا الطفل لعائلة ثرية، هذا من جانب، ليعيش حياة قد تكون أفضل له ومستقبله، ومن جانب آخر، ليحصل الأبوان على بعض النقود التي ربما تعينهما على صعوبات الحياة وتساهم في تربية الطفلين الآخرين. هذه قصة واقعية وليست حبكة درامية أو قصة سيتم كتابة سيناريو تفصيلي وإخراجها لتعرض في دور السينما العالمية. نعم، تعيش هذه العائلة في أحد أحياء شرق العاصمة الإيرانية طهران. قبل نحو عامين، نشرت صحيفة «اعتماد» الإيرانية

رغم ثروات البلاد الهائلة، يعاني معظم المجتمع الإيراني من تدني المستوى المعيشي وانتشار الفقر، علاوة على الأعداد الكبيرة التي سلكت طريق المخدرات للهروب من الوضع المعيشي السيئ الذي يعانون منه، بسبب البطالة أو عدم حصولهم على دخل كاف يضمن لهم حياة كريمة، في ظل انتشار المخدرات بأسعار رخيصة جداً. بسبب هذه المشاكل الاقتصادية الصعبة، تلجأ بعض الأسر إلى التخلص من أغلى ما تملك، فلذات أكبادها، للحصول على دراهم معدودة يتم استخدامها إما للصرف على بقية أفراد الأسرة أو تأمين تلك الآفات والسموم «المخدرات» التي أدمن عليها الأبوان كلاهما أو أحدهما. كما أن هناك ظاهرة أخرى في بعض المدن الإيرانية الكبرى مرتبطة بهذا الموضوع، ألا وهي اختفاء بعض الأطفال بشكل مفاجئ، إذ تشير التقارير إلى اختفاء ما معدله طفلان يومياً في العاصمة طهران. من يقرأ التقارير التي تظهر بين الفينة والأخرى عن الاتجار بالأطفال في إيران يفاجأ كثيراً بما وصل إليه المواطن الإيراني في المدن الكبرى والقرى والمحافظات

الشهيرة تقريراً مربعاً ومؤملاً حول ظاهرة الاتجار بالأطفال في البلاد، والتقت الصحيفة بعائلة في حي «دوازده غار» شرق العاصمة طهران ونقلت تفاصيل معاناتهم. يشير التقرير إلى أن سعر الطفل لا يتجاوز ٤٠٠ ألف تومان «١١١ دولاراً» فقط تدفع للأبوين و٧-٨ ملايين تومان «١٩٤٤-٢٢٢٢ دولاراً» يحصل عليها السمسار.

من جانب آخر، يذكر محمد لطفي، عضو جمعية الدفاع عن حقوق الأطفال في إيران لموقع «دويتشه» الألماني، أن لديهم معلومات كثيرة حول ظاهرة الاتجار بالأطفال في البلاد، إلا أنها لا تزال محدودة نسبياً ولا توجد أرقام أو إحصاءات دقيقة حول عدد الأطفال الذين تم بيعهم. ويعزو لطفي الدافع وراء جنوح بعض الأسر نحو بيع فلذات أكبادها إلى الإدمان على المخدرات، إلا أنه يؤكد على أن هناك بعض الأسر التي تقدم على ذلك بسبب العوز والفقر الشديدين، وعدم قدرة الأبوين على توفير الاحتياجات الضرورية لأطفالهم.

ناشط آخر في حقوق الأطفال، رفض الكشف عن اسمه، قال للموقع الألماني ذاته: «بحكم اهتماماتي، أعلم أن حالات بيع الأطفال والاتجار بهم رائجة في البلاد، رغم عدم وجود إحصاءات دقيقة في هذا الجانب». وحول كيفية استغلال هؤلاء الأطفال، يقول: «يتم استغلال هؤلاء الأطفال من بعض رجال الأعمال، إذ يتم إدخالهم إلى سوق العمل في سن مبكرة جداً، بحيث يصبحون من القوى العاملة في شركات هؤلاء التجار ومؤسساتهم ومصانعهم، كما يتم استخدام هؤلاء الأطفال الأبرياء في عمليات تهريب المخدرات وترويجها وعمليات التهريب بشكل عام، علاوة على إجبارهم على التسول ونحو ذلك».

وخلال الأسابيع القليلة الماضية طالعنا إحدى وسائل الإعلام الإيرانية بخبر يتحدث عن انتشار ظاهرة بيع الأطفال حديثي الولادة، بالقرب من أحد المستشفيات

الكبيرة في العاصمة طهران.

تحدث التقرير أن سعر الطفل الواحد يراوح بين ١٠٠-٢٠٠ ألف تومان «٢٧-٥٤ دولاراً أميركياً».

ليست هناك تفاصيل كثيرة عن أسباب ظاهرة بيع المواليد تحديداً، ولكن ربما يكون الدافع إما الفقر والعوز كما هو الحال لذوي الأطفال الأكبر سناً، أو أنه تم إنجابهم خارج نطاق الزوجية، وبالتالي يتم التخلص منهم مع كسب بعض المال اليسير.

كثير من التقارير نشرت في صحف إيرانية ومواقع أجنبية، حول ظاهرة الاتجار بالأطفال في إيران، تلك الدولة التي وهبها الله ثروات لا تحصى من النفط والغاز والأراضي الزراعية الخصبة، علاوة على الثروات الطبيعية المتعددة، ومع ذلك لم تنعكس عائدات تلك الثروات على المستوى المعيشي للمواطن الإيراني، والأسباب معروفة -بكل تأكيد- لدى كل متابع لتصرفات النظام الحاكم في إيران.

إن صرف أموال الشعب الإيراني على الميليشيات وفرق الموت في المنطقة، وتمويل الجماعات الإرهابية، قد أوصل المواطن الإيراني إلى هذه الحالة المعيشية المتردية، ولسان حال كل واحد منهم يردد: «فهل من فرج قريب؟!».

## إيران فاقد الشيء لا يعطيه

إيران تعتقل علماء السنة والشيعة الذين لا يؤمنون بولاية الفقيه، وتنصب لهم المشانق في الميادين العامة أو تصفيهم في السجون بطرق مختلفة، وتفتعل حوادث مرورية لشخصيات بارزة من أبناء الشعوب غير الفارسية

الماضي أرمينيا المسيحية ضد جمهورية أذربيجان التي يشكل فيها الشيعة نسبة ٩٠٪ من السكان، فكيف يزعم أنه يدافع عن الشيعة وهو إما يضطهدهم في الداخل أو يدعم أعداءهم من غير المسلمين كما حدث في الحالة الأذربيجانية!

كذلك تزعم طهران أنها تحارب الإرهاب وقد روجت لذلك بشكل مكثف خلال فترة المفاوضات النووية بين إيران ومجموعة ٥+١ وتدّعي أنها قد أنقذت سورية والعراق من داعش وغيرها من الجماعات «التكفيرية»، بينما نجدها تدعم الإرهاب الشيعي الذي يقتل على الهوية متمثلاً في المليشيات وفرق الموت في لبنان وسورية والعراق والبحرين واليمن، الأمر الذي لا يختلف مطلقاً عن «القاعدة» و«داعش». فكيف تحاول إقناع العالم بدورها في مكافحة الإرهاب وهي تدعمه على كافة الأصعدة؟ كما أنها لم تتضرر يوماً من هذا الإرهاب الذي يشكل خطراً حقيقياً على الأمن في المنطقة والعالم، على الرغم من أن كل جانب يرفع شعار العداء للآخر وهي مسرحية واضحة لا ينخدع بها إلا السذج. ولعل آخر تلك المسرحيات رسالة خامنئي قبل أيام للشباب الغربي التي يتهم فيها الحكومات الغربية وبعض دول المنطقة السنية بدعم الإرهاب، ويقدم إيران على أنها

يحاول النظام الإيراني التظاهر بمظهر البراءة وبخاصة فيما يتعلق بكثير من القضايا التي تعيشها منطقة الشرق الأوسط. هذا المظهر البريء وعباءة المظلومية التي يرتديها النظام خدعا البعض في المنطقة والأهم في العالم الغربي إلى درجة الوصول إلى مرحلة تصديق بعض المزاعم الإيرانية أو الاقتناع بها وإن كان ذلك بدرجات متباينة.

سوف نسرد جزءا يسيرا للتناقضات الإيرانية والتضليل الإعلامي الذي يعكف نظام طهران على تسويقه إقليمياً ودولياً. فعلى سبيل المثال، تنص المادة «١٥٤» من الدستور على «التزام إيران بالعمل على إقامة حكومة الحق والعدل في أرجاء الأرض وحماية المستضعفين». إنها بهذا النص تزعم دفاعها عن تطلق عليهم مصطلح «المستضعفين» بينما الواقع يقول إنها تقذف بهم إلى الهاوية وطريق اللارجعة لخدمة مصالحها السياسية كما فعلت في البحرين واليمن والعراق وغيرها. أيضاً يزعم نظام ولاية الفقيه أنه يدعم الشيعة حول العالم ويرى أنه الحامي الأول لهم ويتولى الدفاع عن حقوقهم، وفي المقابل نجد أنه قد أسهم ولا يزال في قتل الشيعة الأحوازيين في إيران ذاتها بدوافع قومية بحتة، أما خارج حدود إيران فقد دعم في بداية التسعينات من القرن



درجة أنها قد وضعت ذلك شرطا معلنا للوصول لإدارة بعض المواقع والحصول على المنح الدراسية والتدريس في الجامعات، ناهيك عن التعيين في مناصب مثل الوزراء والسفراء ونحو ذلك. ببساطة شديدة، فاقد الشيء لا يعطيه.

أيضا تزعم إيران أنها تدعو للتعايش وتحارب الطائفية والمذهبية وتتهم الآخرين بذلك، بينما الحقائق تقول إنها دولة طائفية دستوريا وقانونيا وبإشراف نظام ولاية الفقيه. حيث تنص المادة ١٢ في الدستور الإيراني على أن «الدين الرسمي لإيران هو الإسلام والمذهب الجعفري الاثنا عشري، وهذه المادة تبقى إلى الأبد غير قابلة للتغيير»، علاوة على تدشين أكثر من ٢٠ قناة تلفزيونية ذات توجهات طائفية وتكفيرية. ألا يكفي هذا كدليل على طائفيتها؟

إيران التي تدافع عن الإرهابي نمر النمر وتطالب بإطلاق سراحه رغم تورطه في عمليات إرهابية، تعتقل علماء السنة والشيعة الذين لا يؤمنون بولاية الفقيه وتنصب لهم المشانق في الميادين العامة أو تقوم بتصفيتهم في السجون بطرق مختلفة ومتنوعة. فمؤخرا قتلت الأحوازي الشيخ عبد الحميد الدوسري والكردي الشيخ شهرام أحمددي والبلوشيين مولوي عبد القدوس ملا زهي ومولوي محمد يوسف سهرابي، كما تم افتعال حوادث مرورية لشخصيات بارزة أخرى من أبناء الشعوب غير الفارسية في إيران، فكيف تدافع عن المجرمين وتعدم الأبرياء في الداخل؟!

ختاما نقول لإيران: كفى تضليلا وكفى تدخلا في شؤون الآخرين، ولعل الأفضل للنظام الإيراني أن يهتم بالمشكلات التي يعاني منها المجتمع الإيراني، ويعمل على حلها بدلا من الهروب إلى الخارج ومحاولة تصدير مشكلاته ومخادعة الداخل ببعبع العدو المتربص.

دولة تحارب الإرهاب وتسعى لتحقيق الأمن والسلام في العالم. إن إيران تدعم أشد أنواع الإرهاب خطورة وهو ذلك المدعوم من قبل الدول، علاوة على ذلك قام النظام الإيراني بتنفيذ أو التخطيط لعشرات العمليات الإرهابية حول العالم، وآخرها ما أعلنت عنه كينيا قبل أيام عندما اعتقلت إيرانيين كانا يخططان لتنفيذ عمليات إرهابية في البلاد، وقد تدربا في معسكرات الحرس الثوري الإيراني.

من جانب آخر، تدّعي إيران أنها تدافع عن قضايا المسلمين وبخاصة القضية الفلسطينية وهي بذلك تستغل هذه الورقة لتحقيق مكاسب سياسية إقليمية ودولية، وبالتالي لا ترغب مطلقا في أي حل لها حتى لا تخسر هذه الورقة، والشواهد على ذلك كثيرة جدا، ومنها معارضة إيران في ١٩٨٢ للمبادرة السعودية التي تبنتها جامعة الدول العربية لحل القضية الفلسطينية. آنذاك دشن الخميني حملة إعلامية وسياسية تهدف إلى إجهاد المبادرة ووصفها بأنها مشروع غربي إسرائيلي لتميع القضية الفلسطينية أو نسفها. والسؤال كيف يكون ذلك وإسرائيل والغرب قد رفضا المبادرة؟ السبب ببساطة أن إيران ترغب في استمرار هذه القضية لمزيد من التداخلات في الشأن العربي عبر الورقة الفلسطينية. كذلك تزعم طهران أنها تدافع عن حقوق الإنسان وتدين الانتهاكات كما تتظاهر بالمناداة بإرساء الحريات والديموقراطية وأنها دولة تؤمن بالتعددية ومشاركة أطراف المجتمع. الواقع يقول إنها لم تستطع تحقيق ذلك داخل إيران، حيث تنتهك الحريات وتسلب حقوق الأقليات العرقية والدينية، وأصبحت وفقا للأرقام والإحصائيات الدولية أكبر سجن للصحفيين والإعلاميين وسجناء الرأي في العالم، كما أنها تحجب مصادر المعرفة والتنوع في الحصول على المعلومة، حيث تحظر وسائل التواصل الاجتماعي وتمنع اقتناء الأطباق اللاقطة (الدشوش). علاوة على ذلك فقد حصرت المناصب والمراكز المرموقة في البلاد في شريحة ضيقة من المجتمع الإيراني، وهي تلك التي تؤمن بولاية الفقيه وتمارسها إلى

## جدوى الإعلام العربي الموجه إلى الداخل الإيراني

من الضروري تأسيس قنوات تلفزيونية ومواقع إنترنت ناطقة باللغة الفارسية، لبناء علاقات جيدة مع المجتمع الإيراني، بعيدا عن سياسة «الشيطنة» التي يتبعها النظام الإيراني عبر وسائله الإعلامية

الإيراني فإن ذلك لن يحدث عبر المحطات التلفزيونية الناطقة بالفارسية، بل خلال الثقافة والفن والنمط المعيشي. بعد هذا الاستعراض الموجز للمقال، بداية، نوضح للقارئ الكريم أن الفكرة الرئيسة التي ركزت عليها في مقالي المشار إليه أعلاه هي تكثيف إيران حملاتها في وسائل الإعلام المختلفة، التقليدية منها والحديثة، للترويج لمشروعها القومي والمذهبي الذي يخدم التوجهات السياسية لنظام ولاية الفقيه، والمطالبة بقنوات بعدة لغات أجنبية أهمها الإنجليزية لتوضيح الموقف العربي والخليجي من القضايا الحيوية في المنطقة والعالم للرأي العام الغربي، في ظل ما نشهده من حملات إعلامية موجهة ضد دول الخليج العربي والسعودية تحديدا.

يمكننا مواجهة ونقض كل ما ذكره الزميل الإيراني بسؤال واحد يتمثل في: ما النموذج المقنع للمشاهد العربي الذي تقدمه وسائل الإعلام الإيرانية مثل العالم والمنار والميادين وأكثر من ٢٠ محطة تلفزيونية طائفية مدعومة من إيران وإذاعة إيران الناطقة بالعربية وصحف مثل كيهان والوفاق العربيتين علاوة على النسخ العربية لجميع وكالات الأنباء الإيرانية؟

هل قدمت جميع هذه الوسائل الإعلامية الإيرانية إضافات ثقافية أو فنية أو نمطا حياتيا إيرانيا مقنعا للمشاهد العربي؟ على العكس من ذلك تماما، لقد ازداد كره الشارع العربي

مؤخرا نشر موقع «المونتر / Al-monitor» الأمريكي مقالا باللغة الإنجليزية تحت عنوان: «هل سيشاهد الإيرانيون قناة تلفزيونية بالفارسية ممولة من السعودية؟» للكاتب الإيراني المقيم في أستراليا محمود بارقو، وقد أشار الكاتب إلى مقالتي التي كانت تحت عنوان «إيران وفلسفة الأمن السياسي والإعلامي الخليجي».

يقول الكاتب إن العقبة الرئيسة التي تواجه الرياض للوصول إلى الجمهور الإيراني، هي فقدانها أدوات القوة الناعمة، وإن الإيرانيين ينظرون إلى السعودية من النافذة السَلَفِيَّة، كما أن الجمهور الإيراني ينظر باستعلاء تجاه جيرانه العرب، بينما ينظرون إلى الغرب والإعلام الغربي في الإطار الثقافي والتاريخي!

يذكر الكاتب أيضا، أن هناك العشرات من المحطات التلفزيونية التي تبث باللغة الفارسية، فما الميزة التي ستمتع بها قناة مدعومة من السعودية لتجذب المشاهد الإيراني؟

ثم يقول إن التوجه المعادي للسعودية بين الأوساط الإيرانية سيحول دون تعاون الخبراء والإعلاميين الإيرانيين معهم. وكذلك يرى كاتب المقال أن السنة في إيران لن يقتنعوا بالإعلام السعودي ولن يتابعوه، إذ يحاولون الابتعاد عن السلفية السعودية.

وختاما، يزعم أنه إذا رغبت الرياض في الوصول إلى الجمهور

بعبارة أكثر وضوحاً، يرتعب النظام الإيراني من النفوذ الخارجي مهما كان نوعه، سواء كان غربياً أم شرقياً، وهذا شعار برز جلياً في كلمات وخطب المرشد الأعلى الإيراني، منذ التوصل إلى الاتفاق النووي مع مجموعة ١+٥، لأنه يرى أن الانفتاح على الخارج سيؤدي إلى خسائر كبيرة على المستوى الداخلي، وقد يقود إلى تهشم صورة النظام أمام المجتمع، وتبخر الشعارات التي ظل النظام يرددتها طوال العقود الأربعة الماضية.

أما فيما يتعلق بعدم مشاركة ما اسماه الكاتب بـ«الخبراء الإعلاميين الإيرانيين»، فأعتقد أن دول الخليج تحتاج إلى خلق الكوادر المدربة والمؤهلة، كما أن استقطاب الشباب الإيراني الطموح لن يكون معضلة كبيرة، فالذي أقنع الإعلامي الإيراني في المهجر بالعمل في bbc، وإذاعة فردا، وصوت أميركا، وراديو زمانه، والمواقع الإسرائيلية، سيقنعه بالعمل في محطة فارسية أخرى، لا سيما أن الهدف من هذه القنوات ليس معاداة الشعب الإيراني أو اختلاق القصص والأخبار، بل إن المهنية الإعلامية والتوازن في الطرح سيكونان- وينبغي أن يكونا كذلك- العاملين اللذان يجب المراهنة عليهما في أي وسيلة إعلامية جديدة، لا سيما إن كانت تبث بلغة أجنبية.

من هنا نقول، إنه من الضرورة بمكان تأسيس قنوات تلفزيونية ومواقع على الإنترنت جميعها ناطقة باللغة الفارسية، لبناء علاقات عربية وخليجية جيدة مع المجتمع الإيراني، بعيداً عن سياسة «الشيطنة» التي يتبعها النظام الإيراني عبر وسائله الإعلامية، ولتصحيح كثير من المفاهيم الخاطئة والصور النمطية، ويبقى القرار للمجتمع الإيراني في الاختيار بين الحقيقة الواضحة والمزاعم الكاذبة، بين التضليل وكشف الحقائق كما هي، بين الواقعية في الطرح وبين النزعات القومية والمذهبية، وشخصياً أعتقد أن المجتمع الإيراني بكل مكوناته العرقية والدينية والمذهبية يستطيع في نهاية المطاف التمييز بين هذين النوعين إذا ما طُرِحَا أمامه، والجمهور صاحب القرار في نهاية المطاف، بعيداً عن الأحكام المسبقة أو المحاولات المضللة

للنظام الإيراني، ولا أقول الشعب الإيراني. هنا، يمكن للدول الخليجية، من بينها المملكة العربية السعودية، أن تتعلم من الأخطاء الفادحة التي وقعت فيها وسائل الإعلام الإيرانية الموجهة إلى الشارع العربي، وتنهج في خطابها للمشاهدين بالفارسية منهجاً أكثر عقلانية وإقناعاً، وتخطب العقول بعيداً عن الأيديولوجيا والمناكفات السياسية.

بعبارة أكثر وضوحاً، ما نطالب به ليست قنوات أو محطات إذاعية أو مواقع إخبارية بأموال عربية لمواجهة نظيراتها المدعومة من إيران وبالأسلوب ذاته. بل نرى ضرورة الابتعاد عن الصراعات المذهبية والسياسية، وتقديم مواد إعلامية ثقافية وأدبية وفكرية ستجد قبولا لدى المشاهد الإيراني.

الواقع يقول إن النظام الإيراني يخشى كثيراً وسائل الإعلام الأجنبية الناطقة بالفارسية، ونرى ذلك في الحرب التي تشنها طهران على الأطباق اللاقطة «الدشوش»، وإبعاد مراسلي القنوات الأجنبية، خاصة الناطقة بالفارسية، وحجب كثير من المواقع الإخبارية على الإنترنت، علاوة على حجب معظم وسائل التواصل الاجتماعي، واعتقال كثير من الشباب الإيراني بسبب نشاطه على هذه المواقع. والسؤال هنا: ألا يعني ذلك أن النظام الإيراني يخشى وصول الشعب إلى وسائل إعلامية تغرد خارج صندوق ولاية الفقيه، وبالتالي تفضح مدى التضليل الذي يقوم به النظام تجاه الشعب الإيراني على نمط كوريا الشمالية؟ مؤخراً، نشرت وكالة أنباء مهر شبه الحكومية خبراً عن عزم إحدى القنوات الفارسية التي تبث من الخارج بث مسلسل باللغة الفارسية بعنوان «كالري ممنوع»، ويمثل فيه شباب إيرانيون مقيمون في لندن.

إيران عنونت للخبر بـ«مرحلة جديدة من هجومات القنوات الناطقة بالفارسية»، وأن ذلك يستهدف الثقافة الإيرانية على حد زعمها.

إن هذا الحدث دليل واضح على مدى خشية النظام الإيراني من انفلات الأوضاع من يده في الداخل، ويهمش الشعب ما يسمى بـ«ثوابت الثورة»، مما يقود مع تقدم الوقت إلى خلع هذه العبادة التي تم إلbasها للمجتمع الإيراني عنوة.



## سلمان الحزم يوحد المسلمين في مواجهة الإرهاب

جاء إعلان المملكة العربية السعودية بتشكيل تحالف إسلامي عسكري لمواجهة الإرهاب، يضم ٣٥ دولة إسلامية، من بينها ١٧ دول عربية، وتأييد ١٠ دول إسلامية أخرى بعد أن تخاذل العالم الغربي عن القيام بواجباته تجاه آفة الإرهاب وتوسع انتشارها يوما تلو الآخر.

إن هذا القرار يؤكد محورية المملكة العربية السعودية وأهمية دورها كمركز ثقل في صياغة الواقع السياسي والأمني والاستراتيجي ليس في المنطقة الخليجية والعربية فحسب بل وعلى مستوى العالم الإسلامي، ويسهم في رسم ملامح المستقبل والمشاركة الفاعلة في البناء السياسي والأمني في العالم الإسلامي ومتغيراته المتلاحقة خلال السنوات الخمس الماضية.

فبعد بضعة أشهر من تشكيل وانطلاق تحالف عاصفة الحزم لتطهير اليمن وتحريرها من إرهاب الميليشيات الحوثية وعناصر المخلوع علي عبدالله صالح، والتي جميعها تندرج تحت مظلة الإرهاب المنظم الذي ترعاه الدول، والعمل على إعادة الشرعية ممثلة في الرئيس الشرعي عبدربه منصور هادي، جاء تشكيل هذا التحالف الإسلامي ليتصدى لخطر لا يقل عن سابقه ومرتبطة به بشكل أو بآخر، فالإرهاب واحد وإن تغيرت أشكاله وأنواعه ومبرراته، ويخدم أجندات معينة تستهدف أمن المنطقة العربية والإسلامية واستقرارها، والمؤسف أنها تستخدم أبناء الشعوب الإسلامية لتحقيق أهدافها المشؤومة ثم تبدأ بالتحريض وكيل التهم عبر وسائلها الإعلامية لدول المنطقة بأنها داعمة للإرهاب،

للتاريخ، كانت القيادة السعودية أول من حذر العالم من الخطر المستقبلي للإرهاب، وقد قالها صريحة الملك عبدالله بن عبدالعزيز -يرحمه الله- بأن الإرهاب لن يبقى محصوراً في المنطقة وسيصل سريعاً إلى أوروبا وأميركا، وهذا ما أصبح واقعا ملموسا.

ظلت النظرة الغربية والشرقية إلى خطر الإرهاب وتعريفه قاصرة وضبابية، ينظر إليها البعض بأنها منحازة وغير عادلة. هذه النظرة زادت من اشتعال فتيل هذا الداء وانتشاره، ومبررات تلعب على العواطف والمشاعر بهدف تجنيد الشباب المسلم والزج به في لهيب هذه النار التي لا تبقي ولا تذر.

من هنا، استشرفت القيادة السعودية الحلول الناجعة لاقتلاع هذا الوباء من جذوره، خلال التحالف الإسلامي العسكري وتأسيس مركز عمليات مشتركة مقره الرياض، لتنسيق ودعم العمليات العسكرية لمحاربة الإرهاب، ولتطوير البرامج والآليات اللازمة لدعم تلك الجهود، لا سيما ونحن نشهد محاولات البعض بالصاق تهمة الإرهاب بالدين الإسلامي الحنيف، والتركيز على محاولات ربط هذه الآفة التي لا تعترف بالأديان السماوية أو حتى القيم الإنسانية وهي منه براء.



متقدمة تتمثل في نواة لتشكيل حلف ناتو إسلامي، ولنا أن نتخيل القيام في المستقبل القريب بمناورات عسكرية مشتركة لأعضاء هذا التحالف، ليصبح قوة إسلامية ضاربة في وجه جميع التحديات التي تواجه المنطقة والعالم.

بينما نجد أن هذه الدول المتهمة هي أكثر من اكتوى بنار الإرهاب ودفعت في مواجهته ومحاربته دماء طاهرة زكية طوال السنوات الماضية، وفي المقابل نجد أن المحرضين آمنون من خطر الإرهاب، على الرغم من حجم التهديدات المتبادلة بين الجانبين. إن هذا الواقع المتجسد على الأرض يجعلنا، في هذا الصدد، نؤمن بنظرية المؤامرة بغض النظر عن المسرحيات الإعلامية المتكررة، ولقد أصبح واضحاً للعيان من يدعم الإرهاب ويشجعه، ومن يقف بحزم في وجهه ويحاربه. لذا، من المنتظر أن يعمل هذا التحالف العسكري الذي يضم معظم دول العالم الإسلامي من إندونيسيا شرقاً إلى المغرب غرباً على إعادة تعريف الإرهاب، ثم استهدافه، بغض النظر عن مذهبه أو انتمائه حفظاً للأمن والاستقرار وتبرئة الدين الإسلامي الحنيف من هذه الممارسات الدموية والإجرامية، وبالتالي فإن جميع القوى والميليشيات والتنظيمات التي قدمت من الخارج للقتال في مناطق الصراع العربية والإسلامية تصبح هدفاً مشروعاً لهذا التحالف.

بقي أن نشير إلى تصريحات الأمير محمد بن سلمان ولي ولي العهد وزير الدفاع في المؤتمر الصحفي الذي أعقب الإعلان عن القرار على أن هذا التحالف لن يكون محصوراً في الجوانب العسكرية، بل إنه سيشهد تنسيقاً وتوحيداً للجهود في الجوانب الإعلامية والفكرية والأمنية.

لذا، فإن المشوار طويل، والعمل شاق، ولكن كلنا ثقة في الله - سبحانه وتعالى - ثم في أن يحقق هذا التحالف المبارك الأهداف التي أنشئ من أجلها، وهذا يحتاج إلى أن يستشعر كل فرد بأنه جزء من التحالف ويسهم في إنجاحه، حفظاً للأنفس والأعراض والأموال وتحقيقاً للأمن والاستقرار في العالم. إن الآمال معقودة على أن يتطور هذا التحالف ليتحول من عمل تنسيقي بين أعضائه لمواجهة خطر الإرهاب لينتقل إلى مرحلة

## الشعوبي الصغير علي يونسي

العزف الإيراني على الوتر القومي الشعوبي يسير في اتجاه موازٍ لنزعة تأجيج الصراعات الطائفية في المنطقة التي يعمل النظام الإيراني على إشعالها وتوظيفها لخدمة مشاريعه ومخططاته نحو الهيمنة والتوسع منذ ثورة ١٩٧٩

جاءت به، وكانوا السلف والقدوة». ولعل العلامة والأديب والفقيه ابن قتيبة، وهو فارسي منصف (ويقال كردي) كان دقيقاً جداً أيضاً في وصف من التحق بالشعبوية وأظهروا كرههم للعرب. ففي كتابه «رسائل البلغاء» يقول ابن قتيبة «ولم أر في الشعبوية أرسخ عداوة ولا أشد نصباً للعرب من السفلة والحشوة وأوباش النبط. فأما أشرف العجم وذوو الأخطار منهم وأهل الديانة فيعرفون ما لهم وما عليهم ويرون الشرف نسباً ثابتاً». ويضيف: «ومنهم من أقام على خساسة ينافح عن لؤمه ويدعي الشرف للعجم كلها، ليكون من ذوي الشرف ويظهر بغض العرب بتنقصها ويتفرغ مجهوده في مشاتها وتحريف الكلم في مناقبها وبلسانها نطق وبهممها ألف وبآدابها تسلح عليها. فإن هو عرف خيراً ستره وأن ظهر حقره وإن احتمل التأويلات صرفه إلى أقبحها وإن سمع سوءاً نشره وإن لم يسمعه نفر عنه وإن لم يجده تخرّصه».

فما أشبه اليوم بالبارحة، فما هم شعوبيو هذا العصر لا يتجاسرون على القدح في الدين صراحة كما فعل أسلافهم، إلا أنهم اقتدوا بهم في النيل من كل شيء عربي بدوافع قومية وشيفونية فجّة، ويتحرون الفرص

الشعبوية حركة عنصرية ظهرت في نهاية العصر الأموي وبداية العباسي، وازدادت قوة بعد الخلاف بين نجلي هارون الرشيد، الأمين والمأمون، وقد عملت على الحط من مكانة العرب ونشر مثالبهم والنظر بدونية تجاه العرق العربي ولغته وثقافته وتاريخه، وفي المقابل محاولة رفع قدر الفرس (العجم) ونشر مفاخرهم وحضارتهم. يقول الدكتور عبد العزيز الدوري في كتابه الشهير الجذور التاريخية للشعبوية «وقد نشطت الشعبوية في دور عز العرب وفي فترة سيادة الخلافة، فلما تشقق سلطان العرب وتضعفت الخلافة بالحركات الانفصالية هدأت ثورة الشعبوية وخفت هجماتها. ومن الطبيعي أن تنشط الشعبوية في دور نهضة العرب وتوسع الإسلام، لأنها رأت في هذا التوسع وفي تلك النهضة خطراً على كيانه وإرثها».

وفي كتابه «الحيوان» يصف الجاحظ الشخص الشعوبي بوصف في غاية الدقة حيث يقول: «فإذا أبغض (أي الشعوبي) شيئاً أبغض أهله، وإذا أبغض تلك اللغة أبغض تلك الجزيرة (العربية)، وإذا أبغض تلك الجزيرة أحبّ مَنْ أبغض تلك الجزيرة، فلا تزال الحالات تنتقل به حتى ينسلخ من الإسلام؛ إذ كانت العرب هي التي

إذا تجاوزنا محاولة يونسى ذر الرماد في العيون وإلصاق داعش الإرهابية بالقومية العربية ووصفها بأداة لاستعادة المجد القومي، وهذا في واقع الأمر باطل من عدة وجوه، وليس هذا المقال في سياق تفنيدها، فإن هذا العزف الإيراني على الوتر القومي الشعبي يسير في اتجاه موازٍ لنزعة تأجيج الصراعات الطائفية في المنطقة التي يعمل النظام الإيراني على إشعالها وتوظيفها لخدمة مشاريعه السياسية في المنطقة ومخططاته نحو الهيمنة والتوسع وبسط النفوذ منذ ثورة ١٩٧٩، والأعجب أن تصدر هذه التصريحات من شخصية مسؤولة عن ملف الأقليات في إيران، ومن بينهم بطبيعة الحال الشعب العربي الأحوازي الشقيق، فكيف سيخرج يونسى من عنصريته هذه؟

إن من لم يجد ما يفخر به في حاضره ويشعر بأن الفشل يحاصره من كل جانب، ينزع نحو النبش في الماضي في محاولة للعثور على ما يرضي ولو القليل من غروره المصطنع. محاولات إيران لبعثرة أوراق التاريخ لهذا الهدف السطحي، سيضع، أولاً، المزيد من الأحجار في طريقها ويعمق الهوة ولا يجسرها مع دول الجوار، وثانياً، يفضح النزعة العنصرية للنظام أمام العالم.

وإذا كان هناك من وصف علان الوراق، من شعوبي القرن الثالث الهجري، بعلان الشعوبي (الكبير)، فيمكننا إطلاق ذلك على يونسى أيضاً ليصبح بذلك «الشعوبي الصغير».

لبث أحقادهم وسمومهم، إلى درجة أن ينطبق عليهم قول ابن قتيبة «وأما فخره بما ليس له فيه حظ ولا نصيب فإنما يفخر بملك فارس أبناء ملوكها وأبناء عمالهم وكتابهم وحجابهم وأساورتهم. فأما رجل من عرض العجم وعوامهم لا يعرف له نسب ولا يشهر له أب، فما حظه في سرير كسرى وتاجه وحريره وديباجه وليس هو من ذلك في مراح ولا مغدى ولا مظل ولا مأوى. فإن قال لأني من العجم وكسرى من العجم. فمرحباً بالمثل المبتذل: ابن الجار النجار».

مؤخراً، زعم علي يونسى مستشار الرئيس الإيراني لشؤون القوميات والأقليات الدينية أن «تحرك داعش جاء تلبية لنزعة العرب الرامية إلى التحكم في العالم الإسلامي والتخلص من شعورهم بالدونية تجاه الفرس والأتراك، وأن إيران تعد منطلق كافة الثورات المعادية للظلم، وعندما قتل الإيرانيون شقيق المأمون (الأمين) سحبوا السلطة من العرب إلى الأبد». ويختتم يونسى حديثه بالقول «إن تنظيم داعش يسعى لاستعادة الخلافة العربية وليس الإسلامية لذا يرتكب أي جريمة لتحقيق هذه الغاية». كما سبق أن وصف يونسى في تصريح مثير في شهر مارس الماضي بغداد بمثابة عاصمة لإيران فقال «إيران اليوم أصبحت إمبراطورية كما كانت عبر التاريخ وعاصمتها بغداد حالياً، وهي مركز حضارتنا وثقافتنا وهويتنا اليوم كما في الماضي». وبعد ذلك بأيام قليلة جداً، أطلق مستشار خامنئي للشؤون السياسية والدولية ورئيس مركز الدراسات الاستراتيجية التابع لمجلس تشخيص مصلحة النظام الإيراني علي أكبر ولايتي تصريحات قومية في الاتجاه ذاته حيث زعم أن «مشاركة إيران في العراق وسورية هي مشاركة للدفاع عن عرقنا القومي (الفارسي) ومصداق ذلك علاقتنا الحالية مع العراق». كما تطرق للعصر الأخميني (الهخامنشي) قبل نحو ٢٥٠٠ سنة، زاعماً بأن البحار الواقعة في جنوب البلاد كانت في السابق تحت سيطرة إيران.

## العبث الإيراني في الجزائر إلى أين

إذا كانت طهران في فترة حكم الرئيس المخلوع محمد مرسي تدندن على أن القاهرة كانت عاصمة الدولة الفاطمية الشيعية، فيبدو أنها أيضا تنظر إلى الجزائر بصفتها مهد الدولة الفاطمية

المتحدة الأمريكية. وبعد نحو ٧ أعوام من ذلك التقى الرئيسان بوتفليقة وخاتمي على هامش اجتماع للأمم المتحدة، الأمر الذي انعكس على مستقبل العلاقات بين البلدين، حيث عادت العلاقات الدبلوماسية في سبتمبر ٢٠٠٠ وتم تبادل السفراء بعد ذلك بعام.

وخلال العام الحالي تطورت العلاقات بين البلدين بشكل ملحوظ، ويبدو أن طهران تسعى إلى خلق تحالفات جديدة لها في شمال إفريقيا، ليس ذلك فحسب، بل ومحاولة إثارة الخلافات بين الدول العربية في تلك المنطقة. فقد تجاهل وزير الخارجية الإيراني في جولته في المنطقة المملكة المغربية، ما يؤكد أن طهران تتجه إلى تعزيز علاقاتها بالجزائر وتونس دون الرباط، بينما تزداد الهوة بين الأخيرة وإيران اتساعا على خلفية التوتر الذي ظهرت بوادره أخيرا على خلفية تأييد طهران، على لسان سفيرها لدى الجزائر، موقف الأخيرة الداعم لحق الشعب الصحراوي في تقرير مصيره بنفسه.

وقد شهدت هذه الفترة عددا من الزيارات واللقاءات بين مسؤولين رفيعي المستوى من إيران والجزائر، أسفرت عن إبرام عدد من اتفاقيات التعاون الاقتصادية والثقافية، وصفتها بأنها تهدف إلى خلق كتلة اقتصادية قوية في مواجهة «الخصوم». وشملت هذه الاتفاقيات

في سبتمبر الماضي أغلقت السلطات السودانية المراكز الثقافية الإيرانية بتهمة «التبشير بالمذهب الشيعي»، ومنحت مهلة ٧٢ ساعة لموظفي تلك المراكز لمغادرة البلاد. وأكدت مصادر حكومية في الخرطوم أن السلطات السودانية استدعت القائم بالأعمال الإيراني في البلاد، وأبلغته قرار إغلاق المراكز الثقافية الثلاثة، كما اتهمت وزارة الخارجية السودانية المراكز الثقافية الإيرانية بـ«تهديد الأمن الفكري والاجتماعي للسودان».

على نمط الحالة السودانية، نجد أن إيران تعمل بجهد مضاعف على توطيد أقدامها في دولة عربية أخرى هي الجزائر. لقد مرت العلاقات بين طهران والجزائر بحالة من التآرجح منذ قيام الثورة الإيرانية في عام ١٩٧٩. فبعد قطع العلاقات الدبلوماسية بين إيران والولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٨٠ كانت الجزائر راعية المصالح الإيرانية في واشنطن. إلا أن هذه العلاقة الجيدة لم تستمر طويلا حتى اتهمت الحكومة الجزائرية، في عهد رئيس الوزراء رضا مالك، إيران بدعمها السياسي والإعلامي لـ«الجهة الإسلامية للإنقاذ»، ما قاد الجزائر إلى اتهام طهران بالتدخل في الشؤون الداخلية للبلاد، وبالتالي قطع علاقاتها الدبلوماسية مع إيران في مارس ١٩٩٣، وتراجعت الجزائر أيضا عن رعاية المصالح الإيرانية في الولايات



الخطوة الجريئة لما يمثله هذا النشاط الإيراني من تهديد للأمن الفكري والاجتماعي في السودان، فإن أمير موسوي، القيادي في الحرس الثوري الذي كان يقدم نفسه في الإعلام العربي، بصفته محللا سياسيا ورئيس مركز دراسات في إيران، يعمل حاليا على تكرار المخطط الذي كان يستهدف السودان ولكن في الجزائر، وكما كانت طهران تقدم المنح الدراسية لبعض الشباب السوداني للالتحاق بالجامعات والمعاهد في طهران وقزوین فهي تقوم بالشيء ذاته مع الجزائريين، فقد نقلت صحيفة «الشروق» الجزائرية عن وزير الشؤون الدينية والأوقاف الجزائري، محمد عيسى، تصريحه أن «عشرات الجزائريين موجودون في مدينة قم الإيرانية لدراسة المذهب الشيعي». وإذا كانت طهران إبان فترة حكم الرئيس المعزول محمد مرسي تدندن على أن القاهرة كانت عاصمة الدولة الفاطمية الإسماعيلية الشيعية فيبدو أنها أيضا تنظر إلى الجزائر بصفقتها مهد الدولة الفاطمية وبخاصة منطقة «إيكجان» أو «دار الهجرة» وهي مدينة بناها أبو عبدالله الشيعي في ولاية سطيف الجزائرية، وقد أقام بها عبيدالله المهدي مؤسس الدولة الفاطمية، ولا شك أن النظام الإيراني سيعزف على ذلك، بهدف التوغل عبر الشعارات المذهبية لتحقيق أهدافه السياسية في الداخل العربي، ليستمر بذلك في استهداف الاستقرار في المنطقة وإثارة القلاقل بين أبناء المجتمع الواحد، في ظل غياب تام لمشروع عربي يقف في وجه المشروع القومي والطائفي لدولة ولاية الفقيه في طهران، والسؤال هنا: إلى متى يستمر هذا العبث الإيراني في الدول العربية؟

برامج تنفيذية للتعاون، في مجالات الرياضة والتعليم العالي والبحث العلمي والمشاريع الكبرى، على امتداد السنوات الخمس المقبلة، كما تم تشكيل مجموعة الصداقة البرلمانية الجزائرية-الإيرانية، وإنشاء صندوق مشترك بين البلدين يسمح بتقوية العلاقات الاقتصادية بينهما. وعلى المستوى السياسي، تواترت الأنباء عن أن الرئيس روحاني قد طلب من نظيره الجزائري التوسط لدى التحالف العربي بقيادة المملكة العربية السعودية لوقف التدخل العسكري باليمن، وأن نائب وزير الخارجية الإيرانية مرتضى سمردي هو من قدم الطلب الإيراني للوزير الجزائري المنتدب المكلف بالشؤون المغاربية والإفريقية عبدالقادر مساهل. الجزائر لم تنضم بعد إلى التحالف العسكري الإسلامي الذي أعلنت عنه الرياض أخيرا وضم أكثر من ٣٥ دولة عربية وإسلامية، ما يثير كثيرا من الاستفهامات حول الموقف الجزائري.

وقبل أسابيع، نشرت وكالة مهر للأنباء خبرا عن اجتماع المستشار الثقافي الإيراني في الجزائر أمير موسوي مع عدد من المثقفين وأساتذة الجامعات في الجزائر، من بينهم قيصر مصطفى، ذو الأصول اللبنانية، الأستاذ في كلية الآداب التابعة لجامعة الجزائر في منطقة «بن عكنون» في العاصمة الجزائرية. حيث تناول هذا الاجتماع أوضاع الجامعات والطلاب في الجزائر علميا واجتماعيا ومعيشيا، وأوضاع إسكان الطلاب والظروف الدراسية، وكذلك الأوضاع الثقافية وتصنيفات وسائل الإعلام الجزائرية المؤيدة والمعارضة للحكومة، وأيضا أوضاع ما أطلقوا عليه «فوبيا إيران» في الجزائر. وقال «قيصر مصطفى» إن صورة إيران و«خط المقاومة» في الجزائر إيجابية بشكل عام، وأكد على أن الأصوات المعارضة لها يتم تغذيتها من قبل «الوهابية» وفرنسا، وأن هذه الأصوات ليس لها قاعدة شعبية في الجزائر، على حد زعمه.

إذا كان الملحق الثقافي في السودان العقل المدبر لنشر التشيع وإقامة الحسينيات ومحاولة التغلغل في المجتمع السوداني بشتى الطرق، ما قاد الخرطوم إلى اتخاذ تلك

## الدبلوماسية السعودية تحاصر إيران

أصبحت إيران أكثر عزلة من السابق، وفي مرمى الغضب العربي والإسلامي، وستعاني كثيرا جراء سلوكها الهمجي ضد البعثات الدبلوماسية، وتدخلاتها في الشؤون الداخلية لدول المنطقة

تدخلا سافرا في الشأن الداخلي السعودي، فالإرهابيون يحملون الجنسية السعودية، وجرائمهم نفذت في الداخل السعودي، والمحاكمات أخذت مسارها الشرعي والقانوني داخل أروقة المحاكم السعودية، وتنفيذ حكم الشرع بحق الإرهابيين حدث في مختلف مناطق المملكة أيضا، فما شأن إيران بهذا كله؟

أرادت إيران أن تنتقم من السعودية بسبب محاربتها الإرهاب وقطع دابر الفتنة في البلاد، فوجهت ميليشيات الباسيج إلى مقار البعثة الدبلوماسية السعودية في طهران ومشهد، وصدرت الأوامر من رأس الهرم الذي يقود هذه الميليشيات باقتحام السفارة والقنصلية.

انسحبت قوات الأمن الإيرانية من الموقع، وتجاهلت النداءات التي أطلقتها السفارة السعودية لحماية مقار البعثات، فالأوامر قد صدرت مبكرا وحن وقت التنفيذ. مشهد متكرر في إيران ما بعد الثورة، فقد شهد العالم احتلال السفارة الأميركية في طهران عام ١٩٧٩، ثم إحراق السفارة السعودية هناك عام ١٩٨٧، والاعتداء على أعضاء البعثة، مما أدى إلى استشهاد أحد الدبلوماسيين السعوديين وجرح آخرين، من بينهم نساء وأطفال منسوبي البعثة.

بعد ذلك بثلاثة وعشرين عاما، يتكرر المشهد ذاته،

تهور النظام الإيراني بشكل غير مسبوق، وسخر كل جهوده وآلته الإعلامية للدفاع عن الإرهاب والإرهابيين. انطلقت شرارة الغضب الإيراني مع إعلان المملكة عن بدء عمليات عاصفة الحزم لبتريد إيران «الحوثية» من خاصرة الجزيرة العربية، ثم ارتفعت حالة الغضب مع إعلان تشكيل التحالف العسكري الإسلامي.

رأت طهران أن الخطر يحيط بها من كل جانب، وأن الأدوات التي ظلت تستخدمها طوال العقود الثلاثة الماضية ستذوب وتتلشى، وبالتالي تخسر أهم أركان بقاء نظامها الرجعي الذي يتنفس الإرهاب، وبفقدانه لهذا الأكسجين يتحول إلى جثة هامدة. وارتفعت وتيرة الصراخ الإيراني، بعد أن قامت المملكة بتنفيذ أحكام الإعدام بحق ٤٧ إرهابيا، من أبرزهم فارس آل شويل، وممر باقر النمر.

هذا الغضب الإيراني بسبب اتخاذ الرياض خطوات حثيثة لاجتثاث الإرهاب، قادها للتدخل في الشأن الداخلي السعودي، وانبرت للدفاع عن الإرهابيين، ووصفهم بالنشطاء السياسيين والحقوقيين السلميين، وتجاهلت تلتخ أيدي هؤلاء المجرمين بدماء بريئة ومعصومة في جميع أنحاء المملكة.

خرجت التصريحات الإيرانية الغاضبة، وكانت جميعها

دول الجوار العربي تتعاطف مع الشعب الإيراني، بل إن بعضها ربما خرق العقوبات المفروضة على إيران، من أجل مساعدة الشعب الإيراني، وبعد الاتفاق النووي توقعات أنها ستخرج من هذه العزلة، فتصرفت بعنجهية كبيرة، وكأن احتمالية انفتاحها على العالم الغربي بعد تطبيق الاتفاق النووي سيبسط يدها في المنطقة كيف تشاء، وستتحول دول الجوار تلقائياً تبعاً أو هامشاً، لتتصرف طهران كيفما تشاء دون أي خطورة في ذلك. أما اليوم، فقد أصبحت إيران أكثر عزلة من السابق، وفي مرمى الغضب العربي والإسلامي جراء تصرفاتها اللامسؤولة، وتم محاصرتها دبلوماسياً وقانونياً وسياسياً، وسيتم فتح كل الملفات القديمة والجديدة، وبالتالي ستعاني كثيراً جراء سلوكها الهمجي ضد البعثات الدبلوماسية، ودعمها للإرهاب، وتدخلاتها في الشؤون الداخلية لدول المنطقة، وكلما زاد النظام الإيراني صلفاً وتهوراً كلما تم تضيق الدائرة عليه أكثر وأكثر، وسيتم تقليص أظافره في المنطقة، وحينها سيواجه الاستحقاقات الداخلية، وسيقول الشعب الإيراني آنذاك: «بيدي لا بيد عمرو».

ولكن مسرح الجريمة هذه المرة كان السفارة الفرنسية في ٢٠١٠، وبعد ذلك بعام واحد يتم احتلال السفارة البريطانية من الأشخاص ذاتهم، وتنفيذا للتوجيهات من رموز العصابة ذاتها.

لقد بلغ السيل الزبي، وانتهكت إيران كل المواثيق والمعاهدات الدولية، وظل العالم الغربي صامتا تجاه انتهاك إيران هذه الاتفاقيات، من بينها اتفاقية فيينا عام ١٩٦١، والتي تؤكد أن مباني البعثات الدبلوماسية تتمتع بالحرمة، ويحظر المساس بها أو الاعتداء عليها. لقد أصبحت طهران تتصرف بعقلية الميليشيا المسيطرة على القرار السياسي في البلاد، منذ أكثر من ستة وثلاثين عاماً، كيف لا وقد أوصل الخامنئي أحد أهم المنفذين لاقتحام السفارة الأميركية إلى أعلى منصب سياسي في البلد، عندما اختار محمود أحمددي نجاد رئيساً للجمهورية، وتتفاخر طهران بأنه كان قد انتهك المواثيق واقتحم السفارة الأميركية.

العالم أجمع شاهد كيف تم اقتحام السفارة السعودية في طهران أمام أعين رجال الأمن، دون أن يحركوا ساكناً، وتم نهب ممتلكات السفارة ومحتوياتها قبل إضرام النار في جزء من المبنى.

حاولت إيران بعد إدراك جدية الموقف السعودي وإعلان الرياض قطع العلاقات الدبلوماسية مع طهران، التحايل على العالم عبر تصريحات خجولة تدين هذه الجريمة، وأنها ستلاحق المتسببين في ذلك قانونياً، بل وزعمت أنها قبضت على بعضهم، وكل ذلك مجرد محاولة لذر الرماد في العيون.

فالمشهد متكرر، والمبررات ذاتها متكررة، وأصبحت أسطوانة مشروخة لا يمكن تصديقها أو القبول بها، ثم اتخذ النظام خطوة أخرى خلال تقديم اعتذار للأمم المتحدة، وهذا في حد ذاته اعتراف ضمني بتورطه في عدم اتخاذ التدابير اللازمة لحماية البعثات الدبلوماسية، وللمملكة الاستناد إلى ذلك في إجراءاتها القانونية القادمة ضد إيران دولياً.

لقد كانت إيران تشهد حالة من العزلة الدولية، وكانت



## الاعتداء على البعثات الدبلوماسية يربك النظام الإيراني

ظهرت التناقضات في تصريحات المسؤولين الإيرانيين بعد الاعتداء على السفارة السعودية وقيام المملكة وعدد من الدول العربية إما بقطع العلاقات أو تخفيض مستوى التمثيل الدبلوماسي أو استدعاء السفراء

دعونا نلقي نظرة على التصريحات الإيرانية حول الاعتداء على السفارة السعودية في طهران لنرى مدى حجم الارتباك في الداخل الإيراني. لقد شكك عدد من الوسائل الإعلامية والأمنية من الهجمات على السفارة السعودية في طهران، إذ نسبت موضوع الهجوم على السفارة إلى عدد من الأطراف، ومن بينها رجال الدين الشيعة المتطرفين وعدد من البريطانيين وجواسيس ومعارضين للحكومة الإيرانية أو عملاء للسعودية. وكان محمد باقر نوبخت المتحدث باسم الحكومة الإيرانية قد ذكر في أحد المؤتمرات الصحفية أن «هذا الموضوع مثير للشكوك وسنقوم بالتحقيق مع المتورطين». من جانب آخر ذكر موقع «فرارو» المحسوب على التيار الأصولي في إيران أن البريطانيين يقفون خلف تلك الاعتداءات كون أن هناك مجموعة من رجال الدين الشيعة يمتلكون قنوات تلفزيونية تبث من مدينة لندن وتتخذ من هذه المدينة مقراً لها. أما الرئيس روحاني فقد وصف من هاجم السفارة بـ«المتطرفين»، في حين نجد وزير الإرشاد الإيراني نوش آبادي يزعم أن الهجوم على السفارة السعودية وقنصليتها عمل يثير الشك، وأن هناك احتمالية لوجود خطة وسيناريو من أشخاص يسعون لإحداث خلافات وتوترات أكبر بين البلدين. من جانبه قال وزير العدل

كشفت عملية التدخل الإيراني في الشأن الداخلي السعودي بعد إعدام مجموعة من الإرهابيين وما أعقب ذلك من اعتداء على السفارة والقنصلية السعوديتين في إيران الكثير مما يدور في الداخل الإيراني، وبخاصة مع اقتراب الانتخابات البرلمانية وانتخابات مجلس خبراء الثورة. هناك الكثير من التناقضات نجدها في تصريحات المسؤولين الإيرانيين لتوضيح موقفهم من الاعتداء على السفارة والورطة الكبيرة التي وقعوا فيها بعد قيام المملكة العربية السعودية وعدد من الدول الخليجية والعربية إما بقطع العلاقات أو تخفيض مستوى التمثيل الدبلوماسي أو استدعاء السفراء.

تظهر التصريحات القادمة من إيران أن كل جانب أو تيار يحاول التملص من المسؤولية وإلقاء اللوم على جانب آخر. وهناك شبه اتفاق على أن العمل كان منظماً وليس عبثاً ولكن السؤال هو من قام بذلك؟ من المعلوم أن عملية الهجوم سبقتها تصريحات تحريضية لمسؤولين إيرانيين ضد المملكة، وهي بمثابة إشارة للقيام بعمل ضد البعثة الدبلوماسية، ولذلك طالبت عبر إحدى مداخلتي التلفزيونية بضرورة إجلاء الرعايا السعوديين خشية تعرضهم للاعتداء من قبل ميليشيات النظام الإيراني في الداخل.



العقود الماضية. لقد جاء إعلان الكويت للأحكام القضائية الصادرة بحق خلية العبدلي في الوقت المناسب وقد تم الكشف عن أن العقل المدبر لتلك الخلية ومن يقوم بإدارتها يحمل الجنسية الإيرانية، وقد نشهد في الأيام القليلة القادمة المزيد من كشف أوراق الإرهاب الإيراني في دول الخليج العربي والمنطقة، مما يقود في نهاية المطاف إلى خلاص المنطقة من المشاريع التوسعية والأنظمة الداعمة للإرهاب، وسوف نشهد حينها تراجعاً كبيراً في قوة التنظيمات الإرهابية مثل داعش والقاعدة والمليشيات الشيعية في العراق وسورية مما ينعكس إيجاباً على الأمن والسلم الدوليين.

الإيراني مصطفى بور محمدي: «ما حدث من اعتداءات مؤخراً ضد السفارة السعودية من الممكن أن يكون قد حدث عبر عملاء وأجندة تعمل داخل البلاد ويعتقد أنهم من خطط لتلك الاعتداءات ونفذوها!» أما قائد الحرس الثوري فيتهم جهات معينة داخل إيران تسعى لتوريث النظام، في حين اعتبر قائد قوى الأمن الداخلي الإيراني العميد حسين اشترى الاقتحام «مثيراً للشبهة»! خطباء الجمعة في إيران ظهر ارتباكهم أيضاً، فقد قال إمام الجمعة في مشهد: لقد اختلقت السعودية في الأحداث الأخيرة الأعذار بعد أن قامت بإشعال النار داخل سفارتها في طهران حيث إن السفارة السعودية كانت قد باعت عدداً من مركباتها قبل أيام من وقوع هذه الأحداث لسفارات أخرى، وهذا مؤشر واضح للمؤامرة المبيتة سابقاً، وقد أخذت الرياض حادثة إشعال النار مبرراً لقطع علاقتها مع طهران!! أما إمام الجمعة في كرمان فقال: «إن الهجوم على السفارة السعودية أمر لا يمكن قبوله، وما نتج عنه من قطع العلاقات بين الدولتين سيخفف الضغط النفسي والروحي على السعودية بعد إعدامها لنمر النمر!!» في حين قال خطيب جمعة آخر: إن «السعودية قطعت علاقتها مع إيران بعد أن تحطمت زجاجة نافذة من نوافذ سفارتها وسقطت قطعة من واجهة مبنى السفارة»!!

عندما نقرأ هذه التصريحات المتضاربة بشكل حيادي وموضوعي ندرك جيداً مدى القلق الذي يعيشه النظام الإيراني، فهو يتخبط بينة ويسرة، يهاجم هذا ويبرئ ذاك، يدين مرة ويبرر أخرى. إن هذا الوضع النفسي السيئ الذي تعيشه طهران سوف ينعكس على نشاطها في الخارج ويمهد الطريق للانقراض على مشروعها التوسعي في المنطقة وبتراً أطرافه من لبنان شمالاً إلى اليمن جنوباً مروراً بالعراق وسورية والبحرين والكويت وشرق السعودية. إلا أن تقويض المشروع الإيراني في هذه المرحلة يحتاج إلى تكاتف الجهود العربية والإقليمية لإعادة إيران إلى الداخل ليقول الشعب الإيراني كلمته ويواجه النظام مصيره الذي ظل يتهرب منه طيلة

## المشروع العربي لمواجهة الصلف الإيراني

الصمت الغربي عن الإرهاب الإيراني وتدخلات طهران في شؤون الآخرين هو السبب الرئيس لكل ما يحدث وسيحدث في هذه المنطقة، وإن الكيل بمكيالين في تعريف الإرهاب ومحاربته أصبح مكشوفاً للجميع

تبسط يدها وتمنحها ضوءاً أخضر لترفع من وتيرة تدخلاتها في الشؤون الداخلية للدول العربية، وتستمر في زرع الخلايا النائمة واليقظة وخلايا التجسس ودعم الإرهاب، وإشعال الفتنة الطائفية في المنطقة؟ لقد أصبح جلياً أن القوى الغربية، من جانب، تصافح الإرهاب وتصف العلاقة معه بالشراكة، ومن جانب آخر، تطالب الدول العربية وعلى رأسها المملكة العربية السعودية بمحاربة الإرهاب وتجفيف منابعه واجتثاث جذوره ثم بعد ذلك تهاجمها لمعاقبة الإرهابيين. هذان نقيضان لا يجتمعان إلا في مخيلة تؤمن بمشروع قادم يستهدف المنطقة وأمنها واستقرارها وكيونة دولها.

في ظل هذه المتغيرات والتقلبات يتساءل كثيرون عن الخطوات التي يمكن لدول المنطقة اتخاذها لإفشال أي مخططات تستهدف أمنها واستقرارها ومصالحها. ببساطة شديدة، يحتاج الأمر إلى عزيمة ووحدة صف وثبات على كلمة واحدة، لأن مصير هذه الدول كل لا يتجزأ، والضرر الذي يلحق بوحدة سيصل إلى البقية لا محالة. على دولنا الخليجية التحول سريعاً من المجلس الذي تم تشكيله لدواعٍ أمنية وسياسية بحتة إلى الاتحاد ومن لديه تحفظات فلا ينبغي أن يعرقل المسيرة، وعليه أن يلحق بالركب متى ما وجد أن الظروف مواتية لذلك، كما

تعيش المنطقة العديد من التقلبات السياسية والأمنية وإعادة لتوجيه بوصلة التحالفات والتكتلات بشكل غير مسبق. تنظر الدول الكبرى، وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية، إلى المنطقة عبر عدسة مختلفة عن تلك التي ينظر من خلالها العرب والدول الإقليمية الأخرى، فالمصالح الاقتصادية والسياسية والعسكرية تعد المحرك الأول للدول الغربية دون أي اعتبارات أخرى. استبشرت إيران خيراً بفوز باراك أوباما بكرسي الرئاسة في انتخابات عام ٢٠٠٩. آنذاك ترجم الإيرانيون اسم أوباما إلى الفارسية ليصبح «هو معنا». كثيرون لم يكتثروا لهذه القراءة الإيرانية، ولكن مع تقدم الوقت وتركيز أوباما على ملف البرنامج النووي الإيراني بعد فشله في جميع الملفات الأخرى في المنطقة بدأ البعض يتحدث عن رهان «أوبامي» على إيران بأمل أن يحفظ التاريخ له منجزاً بعد مغادرته مقعد الرئاسة في مطلع عام ٢٠١٧.

جورج بوش الابن اعتبر إيران أحد أضلع «محور الشر»، وإيران تطلق على الولايات المتحدة الأمريكية مسمى «الشیطان الأكبر»، أما اليوم فنشهد تزاوجاً مؤقتاً («صيغه مؤقت» كما يسميه الإيرانيون) بين «الشیطان» و«الشر»، فما الذي أوصل المنطقة والعالم إلى هذه النقطة، وكيف سيكون وجه المنطقة بعد أن رأت طهران أن واشنطن

سلمان بإطلاق عاصفة الحزم، بالتحالف مع بعض الدول العربية، خير شاهد ودليل. لقد رضخ العالم للأمر الواقع وتم تأييد التحرك العسكري من قبل مجلس الأمن، وهذا لم يكن ليتحقق لو لم تنطلق العمليات على أرض الواقع وأثبتت دولنا أنها قادرة على اتخاذ قراراتها الحاسمة بنفسها دون انتظار موافقة غربية أو شرقية على ذلك. لعل هذا النموذج الناجع يقود إلى اتخاذ قرارات تعيد النظام الإيراني إلى التحول من الهجوم إلى الدفاع والانكفاء إلى الداخل ليواجه مستحققات طال انتظار سدادها، وحينها سيقول الشعب الإيراني كلمته، وبذلك يتحقق خلاص المنطقة من شر النظام الإيراني وتحقق الشعوب في جغرافية إيران طموحاتها وتستعيد حقوقها المسلوبة. كما أن على القوى الغربية إعادة قراءة المشهد في منطقة الشرق الأوسط، وألا تسهم في صراعات هائلة قد يصعب احتواؤها لاحقاً. إن الصمت الغربي عن الإرهاب الإيراني وتدخلات طهران في شؤون الآخرين هو السبب الرئيس لكل ما يحدث وسيحدث في هذه المنطقة، وإن الكيل بمكيالين في تعريف الإرهاب ومحاربتة أصبح مكشوفاً للجميع، فمتى تضطلع القوى الكبرى بواجباتها وتمنع اشتعال مزيد من الحرائق في المنطقة؟.

تحتاج هذه الدول إلى سد جميع الثغرات التي يتسرب من خلالها الخصوم. وعلى المستوى العربي، نحتاج إلى وحدة عربية كبيرة تتجاوز الخلافات والاختلافات وتشكل سدا منيعاً في وجه التحديات والتقلبات. إن مثل هذه الخطوات سوف تقوي من اللحمة الوطنية وتماسك النسيج الاجتماعي، وتصل بالجميع إلى جبهة داخلية قوية ومتماسكة في وجه الأعاصير الحقيقية والمصطنعة. هذا ما يتعلق بالشأن الداخلي الصرف، أما على المستوى الخارجي فنحن في حاجة ملحة إلى مشروع سياسي وخطط استراتيجية بعيدة المدى نبدأ بالعمل على تحقيقها، ليس اعتداءً أو بطراً، بل لاتقاء شر كل من يحاول استهداف دولنا وتحقيق مشاريعه السياسية على حساب أمننا واستقرارنا وكياناتنا السياسية.

ولنكون بصراحة متناسب والمشهد السياسي والتطورات من حولنا ونقولها دون تردد أو وجل: إن المشروع الإيراني الذي يستهدف دولنا في ظل صمت غربي رهيب لا يمكن مواجهته إلا بمشروع مماثل، فنحن في وقت الحزم والعزم ولا مكان للضعفاء في هذا العالم المتوحش. لقد زرعت إيران خلاياها وأذرعها العسكرية في دولنا، وتسعى إلى تحقيق مشروعها الإمبراطوري، تارة تحت مظلة الهلال الشيعي والدولة المهدوية، وأخرى بدوافع قومية تعزف على أمجاد كسرى الساساني، حتى وإن آمنّا بأنه «لا كسرى بعد كسرى» ولكن من يقنع العقلية الفارسية بذلك ويجعلها تتوقف عن حرق المنطقة لملاحقة سراب خادع؟ إيران لا تفهم إلا لغة القوة والندية، ولذلك فنحن في وقت معاملتها بالمثل، حذو القدة بالقدة، وبالأساليب والأدوات ذاتها. إلا أن ذلك لن يتحقق دون اتخاذ قرارات استراتيجية متناسب والمرحلة، ونتخلى عن سياسات «عدم التدخل في شؤون الآخرين»، فدولة مثل إيران تقرأ هذه السياسة بأن دول المنطقة غير قادرة على مواجهة الغطرسة الإيرانية، ولهذا استمرت في تدخلاتها وكبرت وتضاعفت أحلامها. أدرك جيداً أن هذه قرارات صعبة ولكن الأصعب هو حقيقة أن العالم لا يحترم إلا الأقوياء، ولنا في قرار الملك

## الشيعة العرب واستعادة المرجعية من إيران

الهدف الأكبر للنظام الإيراني من وراء مزاعم دعم الشيعة في المنطقة والدفاع عنهم لا يمكن إخراجهم من سياق واحد وهو خدمة المشروع السياسي الإيراني تجاه المنطقة واستخدام الأقليات الشيعية لخدمة هذا المشروع ولا شيء غير ذلك

كثيرين منهم في إيران ليعودوا ويصبحوا خلايا إيران في المنطقة العربية، وبهذه الطريقة يتم تصدير أيديولوجيا ولاية الفقيه وأدبياتها ذات الصبغة الفارسية المتطرفة إلى المجتمعات الشيعية في الوطن العربي. لكن هدف إيران الرئيس لن يتحقق بالتركيز على قم وإبرازها فقط، بل إن الواقع يقول إن إيران وصلت إلى قناعة بأن هذا الهدف لن يحقق مبتغاها إلا من خلال تهميش المرجعية الشيعية العربية العروبية في المنطقة وإضعافها في الوقت ذاته، فعمدت إلى استخدام سلاح الترغيب والترهيب، الاغتيال والشيطنة وتلفيق التهم، والتحذير من بعض الشخصيات الشيعية المدركة جيداً للمشروع الإيراني الذي لا يهتم بالمذهب في حد ذاته بقدر اهتمامه بتهيئة كل الوسائل والسبل لإنجاح الهدف القومي والسياسي تجاه دول المنطقة، ومن بين هذه الرموز الشيعية التي تم استهدافها أو تهميشها في العراق ولبنان، الحسني والوايلي والخوئي والصرخي والحسيني والأمين وغيرهم كثيرون. إن نقل المرجعية من العراق إلى إيران و«فرسنة المذهب» يعنinan أيضاً استيلاء طهران على أموال الخمس والندورات ليتم استخدامها في دعم أجندتها السياسية والطائفية في المنطقة، حيث زرعت أذرعاً عسكرية وميليشيات لها في كثير من الدول التي يوجد بها بعض الشيعة ليعملوا

من المعلوم أن أصل المرجعية الشيعية وأساسها العراق، بغداد أولاً ثم النجف، وقد استمر ذلك لقرون. أما قم فلم تظهر كمدينة دينية إلا في الربع الأول من القرن العشرين، ولم تبرز كمرجعية للشيعة إلا بعد الثورة الإيرانية عندما استولى الملالي على السلطة في إيران. بعبارة أخرى، على مر التاريخ كان العرب هم قادة المذهب الشيعي ومرجعيتهم وليس الفرس. بعد الثورة الإيرانية عملت إيران على استراتيجية تروج لزعامة الشيعة في العالم واحتضانهم وبخاصة في محيطها الجغرافي ونصبت نفسها مدافعا عنهم إلى درجة وضع مادة في الدستور الإيراني تنص على الدفاع على ما تطلق عليه طهران مصطلح «المستضعفين» وهي كلمة ترادف الشيعة والتشيع ولكن مع بعض مساحيق التجميل.

لقد سعت إيران عبر ما يسمى بنظرية أم القرى إلى جعل قم عاصمة للعالم الإسلامي بدلا من مكة، الواقع يقول إنها فشلت في ذلك فشلا ذريعا، لذا فقد عملت على خط متواز بجعل مدينة قم عاصمة للمذهب الشيعي بدلا من النجف، وعملت على استقطاب بعض رجال الدين الشيعة العرب، ودعمت بقوة الحوزات العلمية التي تدرّس باللغة العربية في هذه المدينة الصغيرة، وقدمت المنح الدراسية لشباب الشيعة، حيث يتم تجنيد



مرجعيات تقليد لهم في دولهم، يرتبطون بهم ويقدمون إليهم الخمس والندورات، ويغلقون الباب الذي تتسرب من خلاله إيران إلى مجتمعاتهم ودولهم، ويتعظون من وضع الشيعة غير الفرس في إيران قبل غيرها، وكيف تُمارس طهران ضدهم أصناف العذاب والظلم والاضطهاد في الأحواز وأذربيجان وغيرهما. إن العرب والأذريين والأتراك في إيران لم يشفع لهم انتمائهم المذهبي أمام السلطة الحاكمة في طهران فكيف سيكون موقف هذا النظام من الشيعة خارج حدوده؟ خلاصة القول أن الهدف الأكبر للنظام الإيراني من وراء مزاعم دعم الشيعة في المنطقة والدفاع عنهم لا يمكن إخراجهم من سياق واحد وهو خدمة المشروع السياسي الإيراني تجاه المنطقة واستخدام الأقليات الشيعية لخدمة هذا المشروع ولا شيء غير ذلك، فهل يدرك من خدعته إيران هذه الحقيقة؟ والأهم هل يستعيد الشيعة العرب المذهب الشيعي ويحرروه من القبضة الفارسية؟ الإجابة لدى المعنيين بذلك!

لحسابها ضد أبناء وطنهم وأرضهم وأجدادهم. في هذا الصدد، هناك حاجة ماسة لإصدار قرارات وتشريعات تجرم تصدير أموال الخمس والندورات، ونحو ذلك إلى إيران أو خارج حدود أي دولة، بحيث يتم صرفها على الفقراء والمعوزين من أبناء المذهب في الداخل، حتى لا تعود تلك الأموال رصاصا وقنابل، كما أن الأقربين أولى بالمعروف.

وبعد هذا كله نتساءل سويا هل يقع اللوم على إيران وحدها؟ بكل تجرد وحيادية، أرى أن ذلك ليس دقيقا، فقد أسهم بعضنا بشكل مباشر أو غير مباشر في رمي الشيعة في حضيض إيران. عندما نجعل إيران والشيعة وجهان لعملة واحدة فهذا خطأ فادح. فليس كل الشيعة يقلدون الخامنئي أو يؤمنون بولاية الفقيه أو لديهم من التطرف المذهبي ما أقحمته إيران الصفوية في المذهب قبل ما يربو على خمسة قرون، وأعادت إيران ما بعد ثورة ١٩٧٩ إحياءه وتكريسه والعمل على نشره. كنت ولا أزال أكرر أن إيران ليست الشيعة والشيعة ليسوا إيران. وبعبارة أخرى، ليست إيران شيعية خالصة ١٠٠ % بل إن السنة هناك يمثلون ما يربو على ٢٥ % من المجتمع، كما أن هناك العديد من الملل والنحل والأديان المختلفة داخل جغرافية ما يسمى بإيران. أيضا، لا يفترض، عقلا ومنطقا، أن نعتبر جميع الشيعة تابعين لإيران، فهناك شيعة وطنيون ومخلصون لأوطانهم ويدركون الخطر الإيراني. نعم قد يكون كثيرون منهم لا يبرزون ذلك خشية بطش أتباع إيران بهم، أو مضايقتهم وإلصاق التهم بهم. لكن ذلك لا ينفي وجودهم، والواجب على الجميع تشجيع هذه الفئة والدفاع عنها وجعلها الأغلبية بين الشيعة في الأوطان العربية.

إن إعادة الشيعة العرب المغرمن بإيران إلى الحضيض العربي وإبعادهم عن إيران يتحقق من خلال عدة خطوات يقوم بها الشيعة العرب قبل غيرهم، كما أن إعادة المرجعية الشيعية إلى النجف بعد اختطافها ونقلها إلى قم الفارسية ضرورة قومية أيضا. فمن الأهمية بمكان أن يعمل الشيعة في دول الخليج العربي على إيجاد

## إيران بين أزمة الهوية وأزمة التاريخ والعرب

هل ستتخلص إيران من عقدة العرب في أدبياتها وتذكر أن الواقع الجغرافي لا يمكن تغييره، كما أن العزف على التاريخ وإثارة النعرات الطائفية والقومية لا يغيران من الواقع شيئاً

الحديث على الرغم من تفاخرهم، سواء بالماضي المفقود أو بالثقافة الغربية الجديدة من خلال ارتباطهم بالعرق الآري. رأوا في الآخر العربي السبب الرئيسي في تراجع بلادهم عن ركب الحضارة الحديثة، ليس ذلك فحسب، بل أساس انتشار العادات الذميمة بين أفراد المجتمع الإيراني، من كذب وخداع وتقية وعدم اهتمام بالعلم والتعلم، هذا من جانب، ومن جانب آخر تولى الإيراني عن صفاته الجميلة وعاداته السامية التي رسمت في كتب التاريخ كأجمل ما يميز الإيراني الأصيل، حسب زعمهم.

من العقد التي تعيشها الشخصية الفارسية أمام العرب هي أنه على الرغم من التغني بالتاريخ والحضارة الفارسية إلا أن الفرس لم تكن لديهم طيلة كل هذا التاريخ أبجدية لغوية خاصة بهم. ففي عصور ما قبل الإسلام استخدم الفرس الأبجدية البابلية السامية أو ما يعرف بالخط المسماري الذي كان منتشرًا في بلاد ما بين النهرين، وكانت الكتابة في بلاد فارس محصورة في الطبقة الملكية ورجال الدين ويمنع عامة الناس من التعلم والتعليم. وبعد الفتح الإسلامي، ولصعوبة الخط المسماري وقلة من يجيدون الكتابة أو القراءة باللغة الفارسية البهلوية (الفارسية الوسطى)، اندثرت اللغة الفارسية لقرنين من الزمن، حقبة يطلق عليها القوميون الإيرانيون مسمى «قرنين من الصمت»،

ترسخ في ذهن العقلية الفارسية مشكلة الآخر العربي الأزلية، ولعل الدافع الرئيس هو تمكن المسلمين العرب، في ظل قلة العدد والعتاد مقارنة بالفرس، من هزيمة الجيوش الفارسية، وعلى رأسها القائد رستم، فتم فتح بلاد فارس وكتابة الصفحة الأخيرة في تاريخ الإمبراطورية الفارسية. يقول المحلل السياسي والمفكر الإيراني المعاصر الدكتور صادق زيبا كلام: الكثير من الإيرانيين يكرهون العرب، ولا فرق بين المتدين وغير المتدين في هذا المجال. ويضيف «يبدو أننا كإيرانيين لم ننس بعد هزيمتنا التاريخية أمام العرب، ولم ننس القادسية بعد مرور ١٤٠٠ عام عليها، فنخفي في أعماقنا ضغينة وحقدا دفينين تجاه العرب وكأنها نار تحت الرماد قد تتحول إلى لهيب كلما سنحت لها الفرصة». الواقع أن هذه العقدة ظلت في المخيلة الفارسية حتى وإن خفت لقرون من الزمن، إلا أن انبعاثها وظهورها إلى السطح لا يحتاج إلا إلى القليل من المحفزات القومية والعزف على الماضي. ولذا نجدها بلغت أوجها في القرن العشرين عندما حاول رضا شاه إعادة إحياء الروح القومية والإمبراطورية في بلاده خلال موجة النزعات القومية التي اجتاحت الشرق الأوسط والعالم في تلك الحقبة واستمرت، بمستوى وأدوات مختلفة، حتى يومنا هذا. لقد كان الآخر العربي، ولا يزال، العنصر الأبرز والأكثر تأثيراً في الهوية الإيرانية

يعاني من «أزمة في الهوية» Identity Crisis، جعلته يترنح بين ثلاثة أصناف من الهوية لا يعلم حقيقة إلى أي منها ينتمي وأي صنف منها يمثل ثقافته وتاريخه. هذه الأصناف الثلاثة هي: أولاً، الهوية الدينية الإسلامية التي صورها بعض القوميين الإيرانيين، بشكل أو بآخر، بأنها هوية أجنبية وغريبة لا تمثل العنصر الإيراني (الفارسي)، بل تجعله أقرب إلى العرب منه إلى ذاته الفارسية. ثانياً، الهوية الفارسية التي تتغنى بالماضي (ما قبل الإسلام) وتعتصر أماً على فقدانه، وهذه الهوية تمت بلورتها في مدارس الاستشراق والاستعمار، ولكنها حظيت بقبول كبير لدى الشخصية الإيرانية الحديثة. ثالثاً وأخيراً، هوية تتقمص الثقافة الغربية وتتبنها بشكل كامل وتنسوخ تماماً من كل شيء قديم ما عدا اللغة الفارسية. إلا أن المشكلة ليست في التنظير، بل في تطبيق هذه النظرية وتقمصها، فقد كان من الصعوبة بمكان اختيار أحد هذه الأصناف دون أن يحتوي على أي من مكونات الصنفين الآخرين.

في الختام، ليس كل الفرس على نمط واحد، فهناك علماء وأدباء فرس تجاهلوا العقدة التاريخية وتجاوزوها، بل ودافعوا عن العرب وثقافتهم ولغتهم وحضارتهم وتغنوا بالعربية وفضلوها على لغات العالم ومن بينها الفارسية. صحيح أن جُلّ هؤلاء قد برزوا في العصور المتقدمة بشكل أكبر مقارنة بالعصر الحاضر الذي خبأ فيه هذا الصوت بدوافع وأسباب سياسية ومذهبية وأيديولوجية ونحو ذلك، إلا أننا لا نستطيع إنكار وجود مثل هؤلاء في الوقت الراهن وإن ضاع صوتهم في بحر متلاطم يسير في الاتجاه المعاكس لهم. والسؤال الأبرز هو هل ستعمل إيران على التخلص من عقدة العرب في أدبياتها وتذكر أن الواقع الجغرافي لا يمكن تغييره، كما أن العزف على التاريخ وإثارة النعرات الطائفية والقومية لا يغيران من الواقع شيئاً؟ أتمنى ذلك!

قبل أن تتم إعادة إحياء اللغة ولكن بالأبجدية العربية، وظل استخدام هذه الأبجدية حتى العصر الراهن، على الرغم من بعض المحاولات في القرن التاسع عشر الميلادي باستبدال الأبجدية العربية باللاتينية إلا أن جميع المحاولات في إيران باءت بالفشل، على عكس ما حدث في تركيا بعد وصول أتاتورك إلى السلطة. علاوة على الخط، نجد القاموس الفارسي يعج بالمفردات والمصطلحات والعبارات العربية إلى درجة وصول نسبتها إلى ٦٠٪ وربما ٧٠٪ من إجمالي المفردات المستخدمة في اللغة الفارسية. أيضاً، هذه الحقيقة أثارت حفيظة القوميين الفرس، ولذا تم تأسيس «الفرهنگستان» أو مجمع اللغة بهدف «تطهير اللغة الفارسية من المفردات الأجنبية، خاصة العربية منها»، بل وصل التعصب عند بعض القوميين إلى درجة الدعوة إلى استبدال الكلمات العربية بفارسية وإن تعذر ذلك تم استبدالها بمفردات تقابلها من اللغات الأجنبية الأخرى كالإنجليزية والروسية والفرنسية». من المؤثرات السلبية على المخيلة الفارسية تجاه الآخر والعربي والثقافة واللغة العربية، وجود شخصيات وعلماء وأدباء من بلاد فارس في العصور الإسلامية المتقدمة والوسطى فضلت الكتابة باللغة العربية دون الفارسية، ولعل السبب في ذلك أن العربية في تلك الحقبة قد ازدهرت وأصبحت لغة العلم والأدب والثقافة.

إن هذا الخلل في الهوية الإيرانية قد يستمر لعقود مقبلة، لأن الشعارات والخطب السياسية، علاوة على المنتج الثقافي والإعلامي في إيران قد عزز هذه الأزمة في الشخصية الإيرانية من خلال الأفلام والمسلسلات وأدب القصة القصيرة والرواية والشعر ونحو ذلك، وما لم يكن هناك مشروع جاد يعمل على حل أزمة الهوية التي تعيشها شريحة كبيرة من الشباب الإيراني في الداخل والخارج، فإن الأمر قد يقود إلى مزيد من الصعوبات لدى هؤلاء الشباب في فهم هويتهم وتجاوز مسألة عدم الاتزان في الهوية الذي يعيشه كثير منهم في الوقت الراهن.

لقد أبدع الكاتب والمفكر الإيراني المعروف الذي يعيش حالياً في المهجر عبدالكريم سروش عندما قال بأن الإيراني



## الحريات في دولة إيران الإسكندنافية

شهدت إيران خلال العامين الماضيين أكثر من ٢٢٠٠ حالة إعدام، ثم يتحدث النظام الإيراني عن دعم الحريات والديموقراطيات وحقوق الإنسان في المنطقة، وينتقد أوضاع الإنسان في أوروبا!

يعتقلهم النظام ويذهب بهم إلى المشانق بشكل يومي، بل ويحاول إرهاب المجتمع والأطفال بحث أسرهم على إحضارهم إلى الميادين العامة عند تنفيذ جرائم الإعدام بحق السجناء؟! لماذا قام النظام الإيراني بإعدام العشرات من رجال الدين السنة في كردستان وبلوشستان مثل كيوان زند كرّمي، هوشيار محمدي، بهنام رحيمي وغيرهم الكثير؟ ثم نقول ولماذا هذا الصمت الغربي الرهيب عن انتهاك حقوق الأقليات الدينية والمذهبية والعرقية في إيران؟! هل ستتحرك هيئات حقوق الإنسان وتمنع النظام الإيراني من إعدام رجل الدين السني شهram أحمدي الذي أيدت مؤخرا محكمة الثورة الحكم عليه بالإعدام لأسباب سياسية بحتة، والمحكمة تحدث في محكمة ثورية وليست مدنية؟

تشير تقارير الدكتور أحمد شهيد، المقرر الخاص للأمم المتحدة لحالة حقوق الإنسان إلى إيران بأن حالات الإعدام قد ارتفعت في عهد الرئيس الحالي حسن روحاني بشكل غير مسبوق، حيث شهدت إيران خلال العامين الماضيين أكثر من ٢٢٠٠ حالة إعدام بمتوسط يتجاوز ٣ حالات إعدام يوميا، وهذا قد يصل إلى ضعف عدد الإعدامات في عهد أحمدي نجاد، فهل هذه حكومة معتدلة؟ لم يسلم الأطفال والنساء من أحكام الإعدام، فقد تم بتاريخ ٢٥

مؤخرا أعرب وزير الخارجية الإيراني محمد جواد ظريف من العاصمة البريطانية لندن عن قلق بلاده بشأن الأوضاع المتردية ملف حقوق الإنسان في الدول الأوروبية! نعم قرأت العبارة بشكل صحيح، عزيزي القارئ: إيران قلقة بشأن انتهاك حقوق الإنسان في أوروبا! قبل ذلك بأشهر وإبان العمليات الإرهابية التي شهدتها العاصمة الفرنسية باريس، أعلن قيادي رفيع في الحرس الثوري الإيراني عن استعداد بلاده لإدارة الملف الأمني في فرنسا لضمان حفظ الأمن هناك، والتصريحات الإيرانية المماثلة أكثر من أن نسردها في هذا المقال!

لعلنا نسأل الوزير «الإسكندنافي ظريف»، كما وصفه الشيخ عبدالله بن زايد وزير الخارجية بدولة الإمارات العربية المتحدة الشقيقة، عن مصير رموز الموجة الخضراء وزعمائها ولماذا لا يتم الحديث عن شهداء تلك الحركة التصحيحية في تاريخ إيران الحديث التي تم إخمادها بالنار والحديد! وكذلك المئات الذين اعتقلوا بسبب اعتراضهم على تزوير الانتخابات في عام ٢٠٠٩، وقد اعترف قائد الحرس الثوري بذلك والتسجيل متاح على مواقع الإنترنت؟! لماذا لم يتحدث العالم عن الشاعر الأحوازي هاشم شعباني الذي تم إعدامه بسبب قصيدة انتقد فيها نظام الملالي؟! وأين السجناء السياسيون من الأكراد والبلوش والعرب الذين



الثروات من عائدات النفط والغاز والمنتجات المختلفة إلى الخارج بهدف دعم الإرهاب والمليشيات وخلايا التجسس وزرع العملاء في المنطقة والعالم، فمتى يساعد العالم هذا الشعب لنيل حقوقه المسلوبة وينعم بثروات وطنه ويتوقف عن الهجرة أو الإدمان على المخدرات والانتحار والخلاص من مقصلة الإعدام التي تستهدف كل من يقول كلمة واحدة ضد النظام، ومع هذا الإرهاب المتنوع نجد النظام الإيراني يتحدث عن دعم الحريات والديمقراطيات وحقوق الإنسان في المنطقة، وينتقد أوضاع الإنسان في جميع أنحاء العالم، وتجاهل حقيقة أنه أول وأكثر من ينتهك هذه الحقوق داخل حدوده.

أكتوبر ٢٠١٤ إعدام ريحانة جباري، مهندسة ديكور، التي قتلت أحد عناصر الاستخبارات الإيرانية لأنه حاول اغتصابها، وفي ٢٠١٥ أقدمت فتاة كردية على الانتحار قفزا من نافذة أحد الفنادق التي تعمل بها كعاملة نظافة في مدينة كرمانشاه في كردستان خوفا من ضابط في الحرس الثوري أراد اغتصابها! وفي ٢٠٠٩، تم إعدام ٤ فتيات شنقا في سجن بمحافظة كرمان. وهناك العشرات من النساء اللاتي يقبعن في السجون الإيرانية وينتظرن إعدامهن لأسباب مماثلة، بعضهن، كما نشرت صحيفة الجارديان البريطانية، تحت سن الـ ١٧، ولقد كان للأطفال نصيب من أحكام الإعدام في إيران، فقد تم إعدام ١٧ يافعا منذ بداية ٢٠٠٤، ثمانية منهم أعدموا في عام ٢٠٠٥ وأربعة في ٢٠٠٦.

أما ماضي الإعدامات فحدث ولا حرج. يقول آية الله منتظري الذي كان يشغل منصب نائب الخميني وتم لاحقا عزله من منصبه ووضعه تحت الإقامة الجبرية حتى وفاته في ٢٠٠٩، أن آية الله خلخالي، قاضي المحكمة الثورية وقع إعدام ٣٠٠٠ معارض سياسي في عام ١٩٨٨. الأخطر من ذلك أن صحيفة «إبزيفر ريبورتر - Observer Reporter» نقلت بتاريخ الخامس من يناير ١٩٨٣ عن (اسوشيتد برس) أن إيران أعدم ٢٥ ألف شخص خلال ١٨ شهرا فقط!

إن بيت النظام الإيراني مكون من زجاج هش، لا يصمد طويلا أمام نسمة ريح، فما بالك بعاصفة تقتلع الأخضر واليابس. إلا أن الغرب أسهم ولا يزال في تمادي النظام الإيراني في انتهاكاته حقوق الإنسان في الداخل ودعمه الإرهاب والتدخل في الشؤون الداخلية للدول الأخرى في الخارج، وهذا السلوك البربري سوف يستمر إن لم يقف العالم في وجه هذه التجاوزات بحزم وجدية، وما عدا ذلك فعلى العالم أجمع -خاصة القوى الكبرى التي قامت بمكافئة إيران بالاتفاق النووي- تحمل مسؤولياته تجاه التصرفات الإيرانية القادمة في المنطقة والعالم.

يعيش الشعب الإيراني على أرض وهبها الله كثيرا من الثروات والنعم إلا أن ذلك لا ينعكس على مستواه المعيشي، ولعل السبب في ذلك هو قيام النظام بتحويل تلك

## الفرس وشيطنة الآخر أمام الغرب: أسلوب قديم متجدد

لا بد أن نعمل، كدول عربية وسنية، على تقديم أنفسنا للرأي العام العالمي بالطريقة التي تعكس حضارتنا وثقافتنا ولا نترك الساحة لوسائل الإعلام المسيّسة ضدنا لتقدمنا بالصورة التي تخدم أهدافها

هناك، وعندما حضر التاجر دار بيني وبينه حوار في حضور خسرو خان، الذي أفصح لذلك التاجر عن نيتي الذهاب إلى بخارى، عندها استدار التاجر وقال لي:

- «مى توانى بروى»، أي: إنك لا تستطيع الذهاب.

- وولف: «چرا؟» أي: لماذا؟

- التاجر: حالما تصل إلى خراسان، فإن التركمان، وهم سنة ملعونون، ولذا يغزون خراسان التي يقطنها شيعة طيبون، سوف يأخذونك رقيقاً، أما إذا نجحت في الوصول إلى سرخس أو مرو، فإن التركمان سيقتلونك في اللحظة التي تصل فيها إلى هناك. وإذا ما قدر لك الوصول إلى منطقة قره قول، فإن الحاكم، وهو ابن حرام آخر من السنة، سيستقبلك بالطف صورة، ثم يعطي أوامره السرية لإغراقك في نهر آمو (أكسوس).

بعد أن غادر وولف إيران ووصل إلى خراسان وقع بالفعل في الأسر، حيث يروي ذلك قائلاً: «وقعت بالفعل أسير العبودية في خراسان ولكن ليس على أيدي السنة الملعونين (كما يسميهم التاجر الفارسي)، أي الخراسانيين التركمان وإنما على أيدي لصوص محمد إسحاق، خان تورباد حيدرية. فأهل خراسان، وهم من طائفة الشيعة، هم الذين استعبدوني أنا و ١٠ من رفاقي، كانوا كلهم من الشيعة، وأصبحوا رقيقاً على أيدي إخوانهم في المذهب».

مؤخراً أهداني الصديق العزيز الدكتور يحيى بن جنيد رئيس مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية مجموعة من إصدارات المركز من بينها كتاب بعنوان «مهمّة في بخارى: ١٨٤٣-١٨٤٥» للبريطاني الدكتور جوزيف وولف، وقد تم ترجمة الكتاب إلى العربية ونشره من قبل مركز الملك فيصل. في طريقه إلى بخارى ومرو، حيث السعي لإنجاز مهمته الرامية لتتبع مصير اثنين من رعايا بريطانيا فقد أثرهما في بخارى، مرّ الدكتور وولف عبر بلاد فارس ومكث في طهران عدة أيام والتقى ببعض الشخصيات الإيرانية. الجدير بالذكر أن الكاتب كان قد زار بلاد فارس وبخارى قبل هذه الزيارة وكان ذلك في عام ١٨٢٥، وقد استوقفني في هذا الكتاب بعض المواقف التي حدثت له سردها في سياق حديثه عن زيارته الأولى لتلك المنطقة، وقد تكون مواقف طبيعية للقارئ غير المتخصص في الشأن الإيراني، إلا أنني عندما مررت بها توقفت عندها كثيراً الأمر الذي دعاني لكتابة هذا المقال.

نستعرض بداية أهم ما ذكره الدكتور جوزيف وولف. تحدث الكاتب عن موقف حدث له بطهران حيث يقول: «في عام ١٨٢٥ قمت بزيارة صديقي القديم خسرو خان أحد وزراء فتح عليشاه، فقام (خسرو خان) في الحال بالاتصال بأحد التجار الفرس، الذي كان عائداً لتوه من

بعنوان «مفهوم الآخر العربي في الفكر الإيراني الحديث»، وكما لعبت الأيديولوجيا المذهبية الإيرانية الدور الأبرز في شيطنة الآخر التركماني السني قبل نحو ٢٠٠ عام فإنها تتكرر حالياً في ظل نظام ولاية الفقيه الذي يحكم إيران منذ عام ١٩٧٩، ولكنها تركز في الوقت الراهن على السني العربي على وجه التحديد، إلا أن الدافع الرئيس واحد في كلا الحالتين، ولذا ينبغي فضح ممارسات النظام الإيراني الإرهابية والطائفية، داخليا وخارجيا، في كافة وسائل الإعلام العالمية وكشف ذلك للرأي العام العالمي ليتم تقديم الصورة الحقيقية للنظام الإيراني دون أي مساحيق تجميل، وفي الوقت ذاته كشف محاولات طهران شيطنة الآخر لتظهر هي بالمظهر الملائكي البريء والمظلوم والمجني عليه لاسيما وأن ذلك أحد أهم أركان الأيديولوجيا التي تحكم إيران حالياً. أما الجانب الأهم، في نظري، هو أن نعمل، كدول عربية وسنية على تقديم أنفسنا للرأي العام العالمي بالطريقة التي تعكس حضارتنا وثقافتنا ولا نترك الساحة لوسائل الإعلام المسيّسة ضدنا لتقدمنا بالصورة التي تخدم أهداف من يقف وراءها. وإن كان قد فشلنا في السابق في تقديم أنفسنا بالطريقة التي تليق بنا ونحصد حالياً بعض نتائج ذلك الفشل فإنه يتوجب علينا في الوقت الراهن العمل بجدية لتصحيح صورتنا النمطية لدى الآخر، ونسد الطريق على كل من يحاول تقديم نفسه على حسابنا، ولنتذكر أن الغائب هو الخاسر الأكبر دائماً.

أما عن تعامل السنة التركمان معه فيقول الكاتب: «لقد شدد رؤساء التركمان، الموجودون في ذلك الوقت في تورباد، على أنني ضيفهم (مهمان) الذي سيقطعون آلاف الأميال لبذل أرواحهم في سبيله... ومكثت بينهم ٢٢ يوماً، كانوا فيها أبعد ما يكونون عن محاولة قتلي.. وبعد ذلك خرجت مع أحد التركمان من سرخس إلى مرو وبخارى، ولم يقدم أحد على محاولة اغتيالي في أي من المدينتين، رغم أنه أمر توقعه ذلك التاجر في طهران». ثم ينقل الدكتور وولف عن أهالي بخارى قولهم: «لقد صبغوا (أي الشيعة الفرس) مدينة بخارى، التي هي قوة لدين الإسلام، باسم (قتلة الضيوف) الذين نعدهم مقدسين بالنسبة إلينا، ولذلك يجب علينا معاملة جوزيف وولف، وكل رحالة إنجليزي يأتي من بعده، بتقدير عال واحترام، من أجل أن ينقل صورة حقيقية عن ميولنا تجاه الضيوف، وحرصنا في معاملتهم». وأخيراً يروي الرحالة وولف أنه قد تعرض مرة أخرى للسلب «ولكن ذلك لم يكن في مملكة بخارى، وإنما على مسافة أربعين يوماً منها، في دو آب، بالقرب من بت باميان، ولم يكن من سلبني من السنة، ولكنهم الشيعة».

وبعد هذه الاقتباسات من كتاب «مهمة في بخارى» فإن هذه القصص والمواقف التي يرويها الدكتور جوزيف وولف وتعود لمنتصف القرن التاسع عشر الميلادي تقودنا لربطها بشكل تلقائي بتصريحات ومواقف إيرانية نسمعها ونقرأها بشكل متكرر هذه الأيام. يركز المسؤولون الإيرانيون، وتردد من خلفهم وسائلهم الإعلامية الناطقة بلغات مختلفة، مزاعم يحاولون من خلالها تشويه صورة الدول العربية وأتباع المذهب السني أمام الغرب، ويحاولون إلصاق تهم الإرهاب والوحشية والهمجية بخصومهم السياسيين وفي مقدمة ذلك دول الخليج العربي والسعودية تحديداً، ولعل آخر هذه التهم ما ذكره وزير الخارجية الإيراني محمد جواد ظريف في مقاله الذي نشر قبل أسابيع في صحيفة النيويورك تايمز الأمريكية.

إن شيطنة الآخر ومحاولات كسب نقاط إيجابية على حسابه هي سياسة إيرانية قديمة متجددة، تطرقت لنماذج عدة منها في أطروحتي لنيل درجة الدكتوراه التي كانت

## الديموقراطية العرجاء في إيران

الليبراليون والعلمانيون يمثلون الشريحة الأبرز في المجتمع الإيراني، ولكن كثيرين يدركون جيدا أنه لا حظ لهم في المناصب والوظائف الحكومية المرموقة، إذا لم يتظاهروا بعكس ما يؤمنون به حقا

والعبث بمحتوياتها، الأمر الذي أدى إلى قيام بعض الدول العربية بقطع العلاقات الدبلوماسية مع إيران، أو تخفيض التمثيل الدبلوماسي، وكذلك إدانات إسلامية ودولية لهذا الانتهاك الصارخ للمعاهدات والمواثيق الدولية.

ما يحدث في إيران من انتخابات، لا يمكن وصفها سوى بـ«الديموقراطية العرجاء».

إن حالة الترشح في إيران لأي انتخابات تشهد عملية فرز دقيقة للغاية، عبر مجلس أسسه الخميني خصيصا لهذه المهمة، ألا وهو مجلس صيانة الدستور، أو ما يعرف بالفارسية بـ«شوراي نگهبان»، إذ يقوم هذا المجلس بتأييد أو استبعاد المترشحين للانتخابات، بحيث لا يتجاوز عملية الفرز هذه من يتبنى توجهها فكريا أو سياسيا لا يتطابق مع توجهات المرشد الأعلى شكلا أو مضمونا.

لذلك، شهدنا في الأيام القليلة الماضية حالة من الشد والجذب في الداخل الإيراني، بسبب استبعاد شخصيات لا تتوافق وتوجهات الخامنئي، أو محسوبة على تيار يوصف بـ«الإصلاحي»، على الرغم من أن هذا التيار منبثق من رحم نظام ولاية الفقيه والثورة الإيرانية!، إلا أن النظام الإيراني يحاول تسويق فكرة التنافس في الانتخابات، وخلق صورة بأن هناك تعددية في المؤسسة ذات الطابع الثوري، والتي تسيطر على مفاصل القرار في البلاد.

تشهد إيران هذه الأيام الانتخابات البرلمانية، وكذلك انتخابات أعضاء مجلس خبراء القيادة.

تأتي هذه الانتخابات في مرحلة حرجة للنظام الإيراني على المستويين: الداخلي والخارجي معا.

فعلى المستوى الداخلي، هناك مطالبات حقيقية بتغيير في أسلوب إدارة البلاد، وخاصة في الجانبين: التشريعي والقضائي، وكذلك حساسية موضوع اختيار المرشد الأعلى الذي سيخلف الخامنئي. هناك أيضا شخصيات تسعى إلى حلحلة ولاية الفقيه المطلقة الحالية، بأمل إطالة عمر النظام الذي ربما يكون بالفعل قد قضى عمره الافتراضي عند الأخذ في الحسبان تاريخ التقلبات السياسية في إيران خلال العصر الحديث.

أما على المستوى الخارجي، فيشهد النظام حالتين متضادتين تماما، فعلى الرغم من النجاح النسبي في محاولات كسر العزلة السياسية الدولية التي كانت تعيشها إيران، بسبب برنامجها النووي المثير للجدل، وخاصة بعد الاتفاق النووي وعود الرئيس روحاني للمجتمع الإيراني بالانخراط في المجتمع الدولي، واجهت إيران عزلة جديدة في محيطها الإقليمي، بسبب تدخلاتها المتكررة في الشؤون الداخلية لهذه الدول، وبسبب انتهاكها للمواثيق الدولية بالاعتداء على مقرات البعثة الدبلوماسية السعودية في طهران ومشهد



إن من أهم الشروط الأساسية للوصول إلى مناصب قيادية عليا في إيران، هو الإيمان بأساس ولاية الفقيه المطلقة، اعتقادا وممارسة، وهذا الشرط مطبق أيضا في كثير من الوظائف الأكاديمية والإدارية، ومن الشروط الأساسية للحصول على المنح الدراسية.

في الختام، يرى كثيرون أن العملية الانتخابية في إيران ما هي إلا مسرحية كبيرة، تغازل خلالها إيران العالم الخارجي، والدول الغربية على وجه الخصوص، ولكن من يتجاوز القشرة الرقيقة التي يروج لها النظام عبر وسائله الإعلامية، يدرك جيدا هذه الحقيقة، كما أن أعداد المترشحين الذين يستبعدهم مجلس صيانة الدستور مبكرا، ويحرمهم من خوض السباق الانتخابي، يعكس مدى سيطرة النظام على كل شيء، وبالتالي لا يتجاوز «فلتر» هذا المجلس إلا المرضى عنهم من الولي الفقيه، فأبي ديموقراطية هذه؟!

ولعلنا نتساءل سويا عن أسباب غياب أو بالأصح تغييب التوجهات الفكرية في إيران البعيدة نسبيا عن ولاية الفقيه ونظامها، فأين التيارات الليبرالية والعلمانية، وأين الشخصيات ذات التوجهات اليسارية؟! أين شريحة الشباب من قوائم الترشح في الانتخابات المختلفة؟ أتمنى ألا تخرج علينا أصوات تقول إن هذه التيارات غير مقبولة في المجتمع الإيراني، وبالتالي فضل المنتمون إليها عدم المشاركة في العملية «الديموقراطية».

يدرك كل من يعرف المجتمع الإيراني جيدا، أن هذه التوجهات تمثل الشريحة الأبرز في المجتمع، على الرغم من الصبغة المتدينة التي يحاول النظام إلباسها له قسرا، ولكن كثيرين يدركون جيدا أنه لا حظ لهم في المناصب والوظائف الحكومية المرموقة، إذا لم يتظاهروا بعكس ما يؤمنون به حقا.

لذا، يعترف الإيرانيون بأن للمواطن وجهان متناقضان: أحدهما في الأماكن العامة، والآخر خلف الأبواب وفي الجلسات البعيدة عن عين الرقيب.

أيضا، من شرائح المجتمع المغيبة عن العمليات الانتخابية في البلاد، الشعوب غير الفارسية، وخاصة العرب والبلوش والأكراد.

إن التهميش الذي تواجهه هذه الشعوب مدفوع بعاملين رئيسيين هما: العرق والمذهب، إلا القلة القليلة التي لا تكاد تذكر من أبناء الشعوب غير الفارسية الذين يقاتلون من أجل إثبات ولائهم للنظام الحاكم، بهدف الوصول إلى مناصب متوسطة.

خلال عمر نظام ولاية الفقيه الذي يقارب ٤٠ عاما، لم يصل سنّي واحد إلى منصب وزير، مع العلم أن نسبة السنّة في إيران بين ٢٠-٣٠ ٪ من مجموع السكان.

أيضا لم يتم تعيين سفير واحد من أتباع المذهب السنّي إلا قبل أشهر، بعد أن وقع روحاني في مأزق عند زيارته كردستان، إذ سأله أحد الصحفيين عن سبب استبعاد أتباع المذهب السنّي من المناصب الكبيرة كالسفراء والوزراء، فرد روحاني: إن هناك سفيرا من السنّة، الأمر الذي أثار سخرية كثيرين في إيران. هذا الأمر قاده إلى حفظ ماء وجهه، بتعيين سفير سنّي لإيران في فيتنام!

## حتى لا يصبح لبنان عراقا آخر

دول الخليج علقت الجرس وعلى الشعب اللبناني المبادرة بحماية مصالحه والحفاظ على وطنه، لا أن يستمر في إلقاء اللوم على الدول الخليجية، ويترك حزب الله يتحكم في مستقبل البلاد، ويبعدها عن عمقها العربي

خاصرتها ليل نهار وتتجاهل كل ذلك، وكل هذا من أجل الشعب اللبناني. في نهاية المطاف، دول الخليج علقت الجرس وعلى الشعب اللبناني المبادرة بحماية مصالحه والحفاظ على وطنه، لا أن يستمر في إلقاء اللوم على الدول الخليجية ويترك حزب الله يتحكم في مستقبل البلاد، ويبعدها عن انتمائها وعمقها العربي. يحتاج الشعب اللبناني الذي يهتم بمصلحة بلاده ومجتمعه إلى أن يعيد النظر في كثير مما يدور حوله. لا حاجة بطبيعة الحال إلى ورقة وقلم لمعرفة ما قدمته الدول العربية والخليجية على وجه الخصوص للبنان كبلد، بغض النظر عن مكوناتها الدينية والسياسية، وما الدول التي استقبلت اللبنانيين دون أي تمييز، الأمر الذي انعكس إيجابا على الاقتصاد اللبناني والمستوى المعيشي للشعب اللبناني. أيضا، قارنوا ذلك كله بما قدمته إيران وحزب الله للبنان من إقحام هذه الدولة المسالمة في مغامرات غير محسوبة، وبدوافع مفروضة من خارج الحدود، الأمر الذي قاد إلى خراب البلاد وتدميرها، ورهن أمن البلاد بمشاريع ثورية ترفع شعارات كاذبة، بهدف تحقيق مشروع قومي تحلم إيران بتنفيذه، وبالتأكيد فإن لبنان جزء من هذا المشروع ولذلك

سيطرت إيران، عبر ذراعها حزب الله، على القرار السياسي في الحكومة اللبنانية، وأصبحت الغالبية في هذه الحكومة إيرانية أكثر من الإيرانيين أنفسهم. كان موقف «وزير خارجية» حسن نصرالله، ولا أقول لبنان، فيما يتعلق باعتداء النظام الإيراني على السفارة السعودية في طهران بمثابة الشعرة التي قصمت ظهر البعير، ونقطة التحول في الموقف الخليجي من لبنان التي تم اختطافها من حزب ولاؤه لطهران وليس لبيروت، حتى وإن كان زعيمه يقطن في الضاحية الجنوبية.

كان الموقف الخليجي والسعودي هذه المرة أكثر حزما في مواجهة عريضة الميليشيا الإيرانية في لبنان، على أمل أن يستيقظ الشعب اللبناني الشقيق والصديق من غفلته، وينقذ ما يمكن إنقاذه بعد عملية الاختطاف التي عاشها لبنان خلال السنوات القليلة الماضية. نقرأ ونسمع كثيرا من بعض الأشقاء اللبنانيين أن المتضرر من القرارات الخليجية هو الشعب اللبناني وليس حزب الله. الحقيقة التي ينبغي أن يدركها اللبنانيون هي أن الخليجيين متمسكون بلبنان إلى أبعد الحدود، ولكن لا يمكن لهذه الدول أن ترى حكومة في لبنان تطعن في

إن اللوم يقع في المقام الأول على الشعب اللبناني ورموزه السياسة هناك، وبالتالي على القوى السياسية في لبنان أن تقول لحزب الله الإيراني، كفى عبثاً بأمن البلاد واستقرارها، وكفى عبثاً بعروبة لبنان، وكفى إساءة إلى الأشقاء المخلصين والمحبين للبنان. كفى محاولات لتحويل لبنان إلى معسكر للحرس الثوري وأجهزته الاستخباراتية وعناصره الإرهابية، ثم ألا يكفي فشلاً للحكومة الحالية أنها وقفت عاجزة أمام رفع النفائات من شوارع بيروت، فكيف لمثلها أن تكون قادرة على إدارة البلاد وهندسة علاقاتها الخارجية، ورعاية المصالح العليا للبلاد؟!

خلقت حزب الله، ووظفته ذراعاً رئيسياً في إنجاحه. علاوة على ذلك، استخدمت إيران بعض اللبنانيين المنتمين إلى حزب الله العاملين في دول الخليج العربي كعناصر للتجسس وجمع البيانات المختلفة، وتجنيد العناصر الاستخباراتية للعمل لمصلحة النظام الإيراني، وتهديد الأمن الوطني والقومي الخليجي والعربي، كما تم قدوم بعض المستثمرين اللبنانيين إلى تلك الدول بأموال تستخدم عوائدها لدعم الإرهاب وتمويله، وهذه الحقائق تجعل الحكومات تنظر بعين الريبة أيضاً إلى بعض اللبنانيين، خشية أن يكونوا من المرتبطين بحزب الله أو العمل لمصلحته ولمصلحة النظام الإيراني. لقد اتخذت المملكة وبعض شقيقاتها من دول الخليج العربي خطوات دبلوماسية واقتصادية، تحمل رسائل سياسية صارمة للبنان حكومة وشعباً، بأمل أن يدرك اللبنانيون مدى حجم الأخطاء التي ارتكبتها الحكومة خدمة لمصالح أطراف خارجية لا تكثر مطلقاً بمصالح الشعب اللبناني بل تصب في مصلحة فئة تعترف صراحة بولائها المطلق لنظام ولي الفقيه، وأن يصبح لبنان جزءاً من إيران، دون أن تأبه هذه الفئة باستقلال بلادها أو مصالح الشعب وتنوع مكوناته. هذه القرارات الخليجية حظيت بدعم شعبي وتأييد نخبوي كبيرين.

مع هذا كله نقول، ربما من الحنكة والحكمة السياسية عدم ترك لبنان لقمة سائغة لإيران، خشية أن يتكرر سيناريو الحالة العراقية، عندما تركت الساحة خالية والطريق ممهداً لإيران للسيطرة على العراق العربي، وزرع عناصرها والتابعين لها في كل أجهزة الدولة ومؤسساتها، والكل يدرك جيداً عواقب ذلك كله.

هذا لا يعني بأي حال من الأحوال اتباع سياسة براغماتية مع من يقود دفعة السياسة في لبنان حالياً، بل تضيق الخناق سياسياً واقتصادياً على الحكومة، مع عدم الابتعاد تماماً عن الساحة، أو التخلي عن دعم الشعب اللبناني بالطرق الممكنة.

## إيران ومعركة الإعلام الخارجي

حققت إيران نجاحاً إعلامياً نسبياً في خطابها الموجه إلى المتلقي الغربي. ففي هذا الخطاب الذي يستهدف الجمهور الغربي، تحاول طهران الترويج لدورها في المنطقة بمزاعم أنها تسهم في مكافحة الإرهاب، وأنها بذلك تقدم خدمات جلية للعالم الغربي

المنطقة العربية من خلال تغذية الجماعات الإرهابية والمليشيات في العديد من الدول بالمال والسلاح وترسل عناصر الحرس الثوري للقتال في العراق وسورية واليمن، وهي بذلك كالذي يشعل حريقاً ثم يحاول التظاهر بإخماده، ولكن هذه الحقيقة لم يتم تكريسها في وسائل الإعلام الغربية، ونحن العرب من يقع عليهم اللوم بالدرجة الأولى.

على الجانب الآخر، لا يفوت الساسة الإيرانيون الفرصة لضرب خصومهم العرب والخليجيين وشيطنتهم أمام الآخر الغربي، إما باتهامهم بدعم الإرهاب والطائفية في المنطقة، أو بفقدانهم لمقومات الحضارة والعمق التاريخي، في محاولات واضحة وجلية لتزوير التاريخ، ولكنهم يدركون أن هذا العالم الكسول لن يذهب ويبحث ويتأكد من مصداقية هذه المزاعم، وبخاصة أنها تتناغم في كثير من الأحيان مع الصور النمطية الخاطئة لدى الغربيين عن المنطقة العربية.

لم تتوقف إيران عند هذا الحد، بل ذهبت إلى ما هو أبعد من ذلك من خلال التجنيد، إما بالإغراءات المالية أو ممارسة ضغوط اجتماعية على الكثير من الباحثين والكتاب الإيرانيين في المهجر ليس ليروجوا

لقد كرر الساسة الإيرانيون مقولة أن محاربتهم للإرهاب في العراق وسورية تحول دون تمدد الجماعات الإرهابية (السنية) إلى العواصم الأوروبية.

تعزف إيران أيضاً على الجانب التاريخي وما تطلق عليها المشتركات الثقافية والحضارية مع الدول الغربية. ففي محاضرة ألقاها قبل أشهر وزير الخارجية الإيرانية في العاصمة الألمانية برلين، وحضرها أعضاء البعثات الدبلوماسية في ألمانيا، ركز محمد جواد ظريف على ارتباط الحضارة الفارسية بالحضارة الغربية، وأن هذه المشتركات ضاربة في عمق التاريخ. الأمر ذاته كرره في مقاله قبل أسابيع في صحيفة «لا ريببليكا» الإيطالية، حيث تحدث عن الإمبراطوريتين الرومانية والفارسية، وقال لا بد من التعاون بين أوروبا وإيران لحل الأزمات في منطقة الشرق الأوسط، فلا يمكننا تجاهل الأوضاع هناك لأن الأمن في الدول المجاورة في غاية الأهمية.

ظريف بهذا الخطاب يريد أن يقول إن إيران تنعم بالأمن والاستقرار في منطقة عربية مضطربة، في حين أن بعض مناطق إيران تشهد حالات من عدم الاستقرار، وبخاصة محافظتي سيستان وبلوشستان، والأهم من ذلك أن إيران تمثل أحد أهم أسباب الاضطرابات في



لإيران بطرق مباشرة وغير مباشرة فحسب، بل الأهم الترويج (لشيطنة) السعودية وتقديمها للقارئ الغربي بأنها الشر كله، والأخطر أن القارئ الغربي البسيط قد لا يعرف أن هؤلاء الكتاب من أصول إيرانية أو مرتبطون بطريقة ما بالنظام الإيراني لأنه ببساطة شديدة لا يستطيع التفريق بين الأسماء الشرق أوسطية في غالب الأحيان، والأخطر اعتبار هذه الأسماء تفهم المنطقة وما يدور فيها أكثر من الغربيين والأسباب لهذا الاعتقاد الخاطئ كثيرة جدا.

في المجمل، هناك حاجة كبيرة إلى تكثيف جهودنا واستثمار ما لدينا من أوراق ناعمة في الغرب لكشف الزيف والتضليل الذي ينتهجه الإعلام الإيراني، سواء عبر وسائلها الناطقة بالإنجليزية، أو الكتاب الذين نجحت إيران في تسخيرهم بالمال لخدمة أهدافها. لا أستغرب مطلقا أن أجد غربيا يردد مزاعم إيران ضد الدول الخليجية، ويأخذها باعتبارها حقائق غير قابلة للنقاش .

## لماذا مركز للدراسات الإيرانية

على المستوى السياسي أو الاجتماعي أو الثقافي والأدبي أو الديني أو الاقتصادي...الخ، لا ينبغي أن يرتبط بطبيعة العلاقة السياسية بينها وبين دول الجوار العربي. إيران كما ذكرت سلفاً دولة جارة ولن نستطيع تغيير هذه الحقيقة وبالتالي لا بد من فهمها، وهذا الفهم لا يتحقق إلا من خلال العمل البحثي المؤسسي الرصين وفي مختلف المجالات. بل إنني لا أبالغ إذا قلت لك إن مثل هذه المراكز المتخصصة قد تسهم أيضاً في تحسين العلاقات بين الدول والوصول إلى حل لبعض الملفات العالقة.

ومن المعلوم أن كثيراً من دول العالم المتقدم تعتمد عند رسم السياسات الداخلية والخارجية إلى الاستئناس بدراسات وتوصيات مقدمة من مراكز بحثية وبيوت خبرة متخصصة تساعد في اتخاذ القرارات، وبذلك تصبح بمثابة رافد إضافي لما تمتلكه المؤسسات الحكومية من خبرات متراكمة في عملية صناعة القرار وقراءة الأحداث واستشراف المستقبل.

قد يرى البعض أن بيوت الخبرة ومراكز الدراسات الإستراتيجية الغربية تجعلنا في غنى عن تأسيس مثل هذا المركز. إن الاعتماد على مراكز البحث الغربية ليس

هناك حقيقة تتمثل في أن إيران دولة جارة ولا يمكن أن نغير الجغرافيا أو نختار جيراننا. هذا الواقع الجغرافي انعكس على العديد من الجوانب الثقافية والتاريخية والدينية، وهناك مشتركات كثيرة بين العرب والفرس على مدى العصور. منذ عدة سنوات طالبت، عبر منابر إعلامية متنوعة ومتعددة، بإنشاء مركز عربي للدراسات الإيرانية. نؤكد هنا على أن الدافع لتأسيس مثل هذا المركز ليس طبيعة العلاقات السياسية السابقة أو التوتر الكبير الراهن في العلاقات العربية الإيرانية، بل إن هناك حاجة إلى فهم حقيقة وواقع هذا الجار على كافة الأصعدة حتى نتمكن من التعامل وفقاً لذلك. بعبارة أخرى، ليس من الحكمة ولا المنطق تأسيس مركز بسبب مواقف سياسية معينة. العلاقات السياسية بين الدول متغيرة وليست ثابتة، وبالتالي كيف يتم إقامة مشاريع ضخمة بناء على عوامل متغيرة؟

لأبد أن ندرك، ويدرك القارئ الكريم أن عمل مراكز البحوث والدراسات محكوم بأطر وقواعد ومنهجيات تحكم العمل البحثي والعلمي. ونحن نتحدث عن مركز متخصص في الدراسات الإيرانية، نؤكد على نقطة نرى أنها في غاية الأهمية وهي أن فهم إيران سواء

حلا بل مسكنا مؤقتا ما يلبث أن يذهب مفعوله. كنت قد طالبت قبل نحو ٣ سنوات بتأسيس مثل هذا المركز، وذكرت أنه ينبغي الاعتراف بداية بأن معظم ما يصل إلى وسائلنا الإعلامية ومجلاتنا البحثية الخليجية بل والعربية عن الداخل الإيراني يتم عبر وسيط ثالث ألا وهو وكالات الأنباء العالمية والغربية تحديدا، وهذا بطبيعة الحال لا يجعلنا على اطلاع تام على الأحداث هناك ومتابعة المستجدات على الأرض أولا بأول. علاوة على ذلك يجب أن نعترف أيضا بأن الإعلام الغربي، في الغالب، يركز على الأحداث التي تكون داخل نطاق اهتماماته أو ما يكون مرتبطا بقضية دولية معينة كالبرنامج النووي الإيراني وملف حقوق الإنسان ونحو ذلك.

بعبارة أخرى، لا يتطرق الإعلام الغربي لما يعرض في الإعلام الإيراني ويخص الشأن العربي على وجه التحديد، كما أنه لا يقدم دراسات بحثية حول معظم القضايا التي تهم الشأن الخليجي والعربي عند الحديث عن إيران. من هنا تكون الحاجة ملحة إلى تأسيس هذا المركز ليسهم في سد هذا الفراغ الكبير في جانب الدراسات الإيرانية المركزة والمعمقة على كافة الأصعدة

## المصالحة الخليجية الإيرانية محددات النجاح والفشل

التحرك العربي الجاد والحازم قاد النظام الإيراني إلى إستراتيجية ما يمكن تسميته بـ«الانحناء للعاصفة»، وامتصاص حماس العربي والخليجي لمحاصرة الوجود الإيراني في المنطقة، وخروج طهران بأقل الخسائر

التي جابت كثيرا من العواصم العربية والخليجية. في هذه المرحلة أيضا، ركزت إيران على تأسيس وتفعيل ما يسمى بالمراكز الثقافية التي يديرها مسؤولون أمنيون تابعون للحرس الثوري الإيراني، ومرتبون بشكل مباشر بمكتب المرشد الأعلى، وليس وزارة التعليم أو الخارجية أو حتى البعثات الدبلوماسية الإيرانية في تلك الدول. عملت هذه المراكز على تكثيف الأنشطة والفعاليات كغطاء تمويهي لأهداف التجنيد والاستقطاب والأدلة. كما شهدت هذه المرحلة أيضا التعاون الإيراني مع الولايات المتحدة الأميركية وبعض الدول الغربية، لتسهيل عملية اجتياح أفغانستان في ٢٠٠١، والعراق ٢٠٠٣، وقد قالها صراحة محمد أبطحي نائب الرئيس خاتمي «لولا إيران لما سقطت كابول وبغداد».

في أواخر هذه المرحلة، حدثت أيضا الخديعة الكبرى للشارع العربي المتعطش للانتصارات عبر ذراع إيران في لبنان، حزب الله، وما يسمى بـ«حرب» تموز ٢٠٠٦، والتي أنهكت لبنان ودمرتها دون أي مكاسب تذكر سوى للجانب الإيراني الذي ذهب ثلثه من العرب إلى التصفيق له قبل أن ينكشف الغطاء مع بداية ما يسمى بـ«الربيع العربي».

مع مرحلة التقلبات السياسية التي شهدتها المنطقة

بدأت إيران ما بعد الثورة في تدخلها في الشأن الداخلي العربي منذ العام الأول لانتصار الثورة الشعبية التي تم اختطافها من الملالي.

استخدمت إيران في بداية المطاف ما يسمى بالقوة الخشنة Hard Power خلال الحرب العراقية الإيرانية التي استمرت ٨ سنوات ١٩٨٠-١٩٨٨، فلم تنجح في تحقيق أهدافها، الأمر الذي قاد الخميني إلى توقيع معاهدة إنهاء الحرب بعد أن رفضها عام ١٩٨٤، وقال مع توقيع هذه الاتفاقية إنه «يتجرع كأس السم». خرجت إيران من هذه الحرب منهكة اقتصاديا وسياسيا وعسكريا، وبالتالي كانت تحتاج إلى الخروج من الأزمة التي تعيشها، ولهذا اتجهت إلى ما يسمى بـ«القوة الناعمة» Soft Power الأسلوب الدبلوماسي الثقافي، والعزف على المشتركات الحضارية في الفترة الثانية للرئيس علي أكبر هاشمي رفسنجاني ١٩٩٣-١٩٩٧، وبخاصة عهد الرئيس الأسبق محمد خاتمي ١٩٩٧-٢٠٠٥.

شهدت هذه المرحلة أخطر مراحل التوغل الإيراني في الداخل العربي، فاستثمرت مرحلة الانفتاح الممنهج على العالم العربي والإسلامي، لزرع خلاياها وتثبيت أقدامها في هذه الدول، مخفية ذلك خلف الوجه الدبلوماسي المنفتح، ودعوات حوار الحضارات، ومعارض المنتجات الإيرانية



الناعمة والدبلوماسية البراقة، بل انتظار خطوات إيرانية جادة على الأرض لكسب الثقة المهزوزة تاريخيا، وتغيير السلوك الطائفي والاستفزازي الذي ظلت طهران تنتهجه بطرق مختلفة، منذ عام ١٩٧٩.

يعمل الرئيس حسن روحاني على تكرار التجربة «الخاتمية»، وكان من الممكن نجاحه إلا أن الظروف التي تعيشها المنطقة وانكشاف الأهداف الإيرانية حالت دون ذلك، ومع ذلك ظل يعزف إعلاميا على أسطوانة التقارب ومحاربة الإرهاب ونحو ذلك.

لا يُلدغ المؤمن من جحر مرتين كما يقال، وبالتالي الجميع تشبع من الوعود التي لا «تسمن ولا تغني من جوع»، وفي انتظار خطوات حقيقية تثبت جدية إيران، وأنها فعلا تحولت إلى دولة طبيعية ترغب في تحسين العلاقات مع العالم والمنطقة، وأنها تخلت عن مشاريعها التوسعية وإثارة الصراعات الطائفية ودعم الإرهاب.

الخميني كان يعتبر السعودية عدو إيران الأول، وقال قبل وفاته «إن تخلينا عن القدس وتجاوزنا الخلاف مع أميركا وتصالحنا مع صدام، فإننا لن نفعل ذلك مع السعودية»، فهل تغيرت إيران حقا بعد أن خففت نبرة العداء لإسرائيل، وتخلت عن شعارات «الشيطان الأكبر»؟، والأهم هل فعلا تخلت عن أدبيات الخميني وإرثه العدائي وعن نواياها تجاه البحرين، أو أنها تسعى إلى التصالح كما فعلت مع صدام ثم انتقامت منه بمساعدة غربية وأسلوب طائفي بامتياز؟

على إيران الحالية إثبات تغير سلوكها السابق بالأفعال لا الأقوال. شخصا، أشك كثيرا في ذلك، لأن هذه السياسية بمثابة الأكسجين للنظام الإيراني، ولا يستطيع العيش دونه، وأتمنى أن أكون مخطئا!

العربية منذ ٢٠١١، عادت إيران من جديد إلى سياسة القوة الخشنة، وإن كان ذلك عبر الحروب بالوكالة Proxy Wars، والاعتماد على الميليشيات الشيعية المسلحة في المنطقة العربية والخطاب الطائفي والعزف على المظلومية الشيعية، علاوة على تحريك بعض خلاياها النائمة، ونشاط استخباراتي كبير عبر خلايا التجسس الإيرانية في المنطقة، خاصة دول الخليج العربي، إذ شهدت السنوات القليلة الماضية تفكيك كثير من هذه الشبكات التجسسية في الكويت والسعودية والبحرين والإمارات واليمن.

أيضا عمدت إيران إلى دعم الحركة الحوثية في اليمن بالسلاح والمال والرجال، في مرحلة ما قبل انطلاق عاصفة الحزم. كثفت إيران أيضا نشاطها في مملكة البحرين ودولة الكويت خلال هذه المرحلة.

استشعرت دول الخليج العربي، بقيادة السعودية، خطورة التدخلات الإيرانية ومحاولات تطويق الجزيرة العربية، وبالتالي بدأت عملية تقليص أظافر إيران في المنطقة من اليمن، وتوجه الآن إلى إجبار إيران على الانكفاء إلى الداخل، وتقليل وجودها في العراق والشام.

هذا التحرك العربي الجاد والحازم قاد النظام الإيراني إلى إستراتيجية ما يمكن تسميته بـ«الانحناء للعاصفة»، وامتصاص الحماس العربي والخليجي لمحاصرة الوجود الإيراني في المنطقة، وخروج طهران بأقل الخسائر، وذلك خلال الحديث عن إرسال وزير الاستخبارات الإيراني إلى دولة خليجية شقيقة، والطلب منها لعب دور الوسيط لدى معظم دول الخليج العربي، لتجاوز الخلافات بين الجانبين، وفتح صفحة جديدة في العلاقات البينية، على الرغم من أن هذه الدولة الخليجية تضررت ذاتها من التدخلات الإيرانية، ولا نعلم إذا ما كانت قد وافقت على الطلب الإيراني أو رفضته.

لا شك أن الجميع يرغب في علاقة جيدة بين دول ضفتي الخليج العربي، والتعايش السلمي بين إيران ومحيطها الجغرافي والعربي تحديدا، إلا أن الحاجة حاليا ليس إلى مزيد من الحملات الإعلامية والخطابات السياسية

## الغرب ومكافحة الإرهاب الإيراني

لغة الغرب تجاه الإرهاب الإيراني والمليشيات التي تدعمها في العراق وسورية ولبنان لا تزال خجولة، فهناك ٧٠ عملية إرهابية تورطت فيها طهران بشكل مباشر طيلة ٣٧ عاما ثم تتجاهل القوى الكبرى كل هذه الحقائق!

واشنطن وشقيقاتها في أوروبا في فتح صفحات الإرهاب الإيراني، وكشفها أو أننا بحاجة إلى بعض الوقت على الأقل إلى حين مغادرة حكومة أوباما وتغيير طاقم البيت الأبيض؟

من المعلوم أن إيران احتضنت قيادات القاعدة وعناصرها وسهلت تحركاتهم وقدمت الدعم اللوجستي والاستخباراتي لهم بطرق مختلفة، كما أن الوثائق ومراجعات بعض قيادات القاعدة مثل «سليمان أبوغيث» تؤكد على تجنب التنظيم توجيه أي انتقادات أو حملات إعلامية تجاه إيران، ناهيك عن محاولة استهدافها كما فعلت في العديد من الدول في المنطقة والعالم، على الرغم من أن القاعدة كانت تحيط بإيران من ٣ جهات (باكستان، أفغانستان والعراق).

إن كثيرا من العرب مقتنعون تماما بالتنسيق «القاعدي» الإيراني لسببين رئيسيين: أولهما العدو المشترك، وثانيهما لتظهر إيران كدولة تحارب الإرهاب القادم من الآخر السني، هذا بالنسبة لطهران، أما للقاعدة فهدف الحصول على تسهيلات استخباراتية ولوجستية تحمي عناصر التنظيم وتضمن سلامة تحركاته.

الواقع يقول إن لغة الغرب تجاه الإرهاب الإيراني والمليشيات الشيعية التي تدعمها في العراق وسورية

أدرج قاضي محكمة نيويورك الجزئية جورج دانليز المرشد الأعلى للثورة الإيرانية علي خامنئي كمتهم ثان، بالإضافة إلى حزب الله (الإرهابي) كمتهم ثالث في تفجيرات ١١ سبتمبر، والتي اتهم فيها أسامة بن لادن قبل مقتله كمتهم أول في تنفيذها. وبحسب ما نقلته صحيفة الشرق الأوسط اللندنية أكد قاضي محكمة نيويورك أن المدعين قدموا أدلة مقنعة بتورط النظام الإيراني وحزب الله بتمويل تنظيم القاعدة الإرهابي قبل وبعد ١١ سبتمبر، وأن المدعين قدموا أدلة مقنعة إلى المحكمة تفيد بأن إيران قدمت الدعم المادي والموارد لتنظيم القاعدة لأعمال الإرهاب.

إن القضية الرئيسية ليست إجبار إيران على دفع تعويضات مالية لضحايا الحادثة بقدر ما تكون هذه الوثائق والشهادات بمثابة رأس الخيط الذي سيكشف مزيدا من تورط إيران في عمليات إرهابية في المنطقة والعالم، في الوقت الذي نجد فيه طهران تحاول إبعاد التهمة عنها من خلال اتهام دول خليجية بتمويل الإرهاب بهدف شيطنة هذه الدول أمام الرأي العام الغربي وإلصاق تهم الإرهاب بها.

والسؤال هنا لماذا تأخرت الولايات المتحدة في إخراج كل هذه الحقائق؟ بل إن السؤال الأهم هل ستستمر

وليس من قام به، وهذا لم نجده سوى في الإعلام الغربي أو في تصريحات المسؤولين وخطبهم. خلاصة القول، إن ثبوت تورط إيران في أحداث نيويورك الإرهابية قد يشجع دولا بمطالبة إيران بتعويضات جراء تشويه سمعتها طيلة الـ ١٥ سنة الماضية، والأهم قد يقود إلى إعادة فتح ملفات كثير من قضايا الإرهاب الذي شهده العالم منذ ١٩٧٩، فمن خلال قراءة الشواهد والأدلة من زاوية، لم تكن ربما حاضرة في أذهان المحققين، قد يتم فهم بعض قضايا الإرهاب التي لا تزال مفتوحة أو أغلقت دون التوصل إلى نتائج مقنعة.

ولبنان لا تزال خجولة وناعمة. فتصرفات الغرب مع الأسف الشديد شجعت إيران على التماذي في دعم الإرهاب. عندما يتم سرد قرابة ٧٠ عملية إرهابية تورطت فيها إيران بشكل مباشر طيلة الـ ٣٧ عاما الماضية كما تعترف إيران رسميا بتدريب ٢٠٠ ألف مسلح في المنطقة، ثم مع هذا كله تتجاهل القوى الكبرى هذه الحقائق والاعترافات وتتهم دولا أخرى بدعم الإرهاب دون تقديم أي دليل، بل اعتمادا في الغالب، على ما يروج له الإعلام وأتباع طهران في الغرب، فهذا يعني أن هناك مشكلة عظيمة تحتاج إلى وقفة جادة.

والسؤال الذي يطرح نفسه في هذا الإطار وليقدم الصورة بطريقة مختلفة هو: ماذا ستفعل الدول الغربية فيما لو قامت دول سنية بفعل ذلك؟ وماذا لو ظهر قيادي عسكري خليجي رفيع على نمط ما يقوم به قاسم سليمان ليدير الجماعات المسلحة على حدود إيران أو العراق؟ هكذا ينظر كثيرون للتخاذل الغربي في تعريف الإرهاب ومحاربتة دون النظر إلى المذهب أو الدين أو العرق.

تلاحظ الدول والشعوب السنية التي تشكل قرابة ٩٠ ٪ من العالم الإسلامي مدى تجاهل الغرب للإرهاب الإيراني الشيعي، وهذا قد شجع بعض المجتمعات على الانخراط في صراع طائفي لحماية نفسها من الميليشيات المدعومة من إيران التي تقتل على الهوية، وبخاصة في عراق ما بعد الاجتياح الأميركي في عام ٢٠٠٣.

نحن في المنطقة العربية نقول لا نريد التعاطف الغربي بقدر حاجتنا إلى تسمية الأشياء بأسمائها وملاحقة من يمول ويدعم الإرهاب ويسهل له تحركاته ويخطط له عملياته ويقدم له الدعم الاستخباراتي واللوجستي. لقد أصبح تعريف الإرهاب لدى الغرب طائفا بالدرجة الأولى. هناك توجهات سياسية غربية واضحة في نظرتها للإرهاب وتصنيفاته، وهذا الأمر يجعل شعلة الصراع متوقدة، ولا سيما أن البعض ينظر لهذه التصرفات الغربية عبر عدسة المؤامرة وإغماض العين عن نوع من الإرهاب والتركيز على آخر. يفترض أن ينظر للعمل

## إيران وإستراتيجية محور العالم

النظام الإيراني يعمل وفق إستراتيجية البقاء تحت الأضواء، والاعتقاد بأن بلاده محور العالم وقلبه، وبالتالي يسعى إلى تحقيق ذلك، على أقل تقدير، من خلال خلق هذه الزوبعة الإعلامية ومحاولات إثارة المجتمع الدولي

لماذا نقوم بسرد هذه الفلسفة التي وردت في ملحمة رومانسية في مقالة سياسية كهذه؟ من يتتبع تحركات إيران منذ الثورة يجد أن النظام الإيراني يسعى دائماً إلى أن يكون في واجهة الأحداث ومحور حديث العالم. فإذا ما تجاوزنا السنوات الأولى للثورة حيث الحرب العراقية الإيرانية والتصريحات الإيرانية المتتالية حول العراق والمنطقة، نجد أن شعارات محمد خاتمي حول حوار الحضارات قد ملأت الدنيا، ومنذ ٢٠٠٢ دخل العالم في قضية النووي الإيراني، وقد استمرت هذه الزوبعة لمدة ١٣ عاماً، وما إن أدركت إيران جدية العالم حتى قبلت بالاتفاق، وقد كان لها أن تفعل قبل عشر سنوات على أقل تقدير وتجنب شعبها آثار العقوبات وأضرارها. تخلل هذه المرحلة بطبيعة الحال تصريحات نارية للرئيس السابق محمود أحمدي نجاد أثارت وسائل الإعلام في كل مكان وانشغل بها لبضعة سنوات وكان حينها الملف النووي في المرتبة الثانية في الغالب.

والآن وبعد التوصل إلى الاتفاق النووي مع مجموعة ٥+١، نجد أن إيران تثير قضية الصواريخ الباليستية، وأصبح النقاش حالياً من الجانب الغربي بالتأكيد على أن تطوير هذه الصواريخ والقيام بالتجارب عليها يعد نقضا صريحا لاتفاق النووي، بينما تصر إيران على العكس من ذلك

ألف الشاعر الشهير نظامي كنجوي، ٥ منظومات أدبية رومانسية ضخمة، الرابعة منها تسمى «هفت بيكر» أو «هفت گنبد» وتعني التماثيل السبعة أو الجماليات السبع، وقد نظمها في عام ١١٩٧م تقريباً، في مدح حاكم «المراغه» علاء الدين كرب أرسلان. نظم كنجوي منظومته باللغة الفارسية وإن كان كثيرون يعتقدون أنه وبسبب الموقع الجغرافي الذي ينتمي إليه من أصول آذرية وليست فارسية، ولكنه عاش في بيئة يحكمها الفرس. في هذه المنظومة الشعرية يشبه الشاعر العالم بالجسد وأن إيران بمثابة القلب. وبعبارة أخرى، يرى أن إيران قلب هذا العالم ومحوره كما أن القلب أهم أجزاء الجسد. يقول في أحد أبيات قصيدته:

العالم بأكمله كالجسد وإيران القلب / ليس هناك خجل في المقارنة  
لأن إيران قلب الأرض... فمن المؤكد أن القلب أفضل أجزاء الجسد.

أيضاً في منظومات أدبية كلاسيكية إيرانية أخرى هناك من يقسم العالم إلى ٧ مجرات، بحيث يتم رسم ٦ منها على شكل دائرة وتوضع المجرة السابعة في وسط هذه الدائرة لتصبح المحور الذي تدور حوله بقية المجرات، وهي بذلك على مسافة واحدة جغرافياً منها جميعاً.



إعلامياً، على أقل تقدير، من خلال خلق هذه الزوبعة الإعلامية ومحاولات إثارة المجتمع الدولي ليصبح اسم «إيران» على الصفحات الأولى للصحف العالمية وبرامج التحليل السياسي ونشرات الأخبار، وبذلك يتحقق هدف البقاء بعيداً عن أي تهديدات حقيقية سواء من الداخل أو الخارج، رغم كثرة المشكلات التي تحيط بالنظام على كافة الأصعدة. لكن هل سينجح العالم في تفكيك هذه الإستراتيجية المعقدة وحللتها وإعادة إيران إلى مواجهة ما تتهرب منه طيلة ثلاثة عقود ونيف الماضية، ويقول للنظام اللاهوتي هناك: كفى لعباً وعبثاً؟

تماماً، وترى أن هذه التجارب حق مشروع لها في الدفاع عن نفسها ولا نعلم متى وكيف سينتهي هذا الجدل، والأهم ماذا تحضر إيران لمرحلة ما بعد حل قضية الصواريخ الباليستية؟

السؤال هنا لماذا تصر إيران على القيام بكل هذا؟ هناك نظريتان أساسيتان يمكن طرحهما حول الموضوع: النظرية الأولى تتحدث عن أن هناك إستراتيجية إيرانية تهدف إلى إشغال الداخل عن المطالبة بحقوقه الثقافية والسياسية والدينية والعرقية عبر بعبع العدو المتربص الذي يسعى إلى استهداف البلاد، وبالتالي يجب التصدي لهذه المخاطر الخارجية المحدقة بالبلاد أولاً. هذه الإستراتيجية مرتبطة بإستراتيجية أخرى تتمثل في تصدير المشكلات إلى الخارج أو ما يعرف بإستراتيجية «الهروب إلى الأمام»، وقد اتكأ عليها النظام الإيراني منذ انتصار الثورة في ١٩٧٩ والشواهد على ذلك كثيرة. من خلال هذه الإستراتيجية يبدأ النظام باختلاق المشكلات مع العالم الخارجي، سواء فيما يتعلق بقضية التدخلات في شؤون الدول الأخرى أو عبر جذب أنظار العالم عبر قضايا تمس الأمن والسلم العالميين وبالتالي يضمن حتمية تفاعل العالم مع ذلك.

النظرية الثانية، ترى أن النظام الإيراني يسعى إلى كسب شرعيته وتعميقها وتهميش أثر الاتهامات الدولية المختلفة له من خلال جعل التفاوض مع القوى الكبرى في العالم هدفاً محورياً بحد ذاته. ويتحقق ذلك لم يعد سؤال الشرعية مطروحاً إطلاقاً، فكيف يكون ذلك وإيران تجلس حول طاولة واحدة مع أعضاء مجلس الأمن وألمانيا؟ ووفقاً لهذه النظرية، فإن هذه الإستراتيجية الإيرانية تحتوي على رسالة للداخل الإيراني أيضاً، وبالتالي السعي إلى وأد محاولات داخلية لتهديد استمرار النظام أو تقويضه.

في المجمل، وبغض النظر عن أي هاتين النظريتين أقرب إلى الواقع، فإنه يتضح جلياً أن النظام الإيراني يعمل وفق إستراتيجية البقاء تحت الأضواء والاعتقاد بأن بلاده محور العالم وقلبه وبالتالي يسعى إلى تحقيق ذلك

## الدعاية الأميركية للنظام الإيراني

واشنطن تسعى من وراء سياساتها الرخوة مع النظام الإيراني إلى إعداد طهران لمرحلة مشاريع غربية جديدة تستهدف المنطقة، وتكون فيها طهران أداة تنفيذ لهذه المخططات

جون كيري على منح إيران نقاط قوة وإقحامها في حل ملفات المنطقة، خاصة الملفين: اليمني والسوري، مع تجاهل كامل لدور طهران السلبي في كثير من قضايا المنطقة، وهذين الملفين على وجه التحديد. ولعل تصريحاته الأخيرة في العاصمة البحرينية المنامة جاءت في محاولة الاستجداء بإيران مطالباً إياها «بمساعدة» المجموعة الدولية في وقف النزاعين الإقليميين في سورية واليمن. وقد استبشرت إيران واحتفلت بهذه الدعوة، وانتابها مجدداً الشعور الطائوسي، وحق لها ذلك، فكيري يشرعن تدخلاتها في الشأن الداخلي العربي ويدعوها إلى الإسهام في الحل، وتجاهل أنها جزء أساسي ومحوري في المشكلة، خاصة عند الحديث عن الملفين السوري واليمني، فلماذا يقوم أوباما وكيري بحملة العلاقات العامة هذه لمصلحة النظام الإيراني؟

إن الشكوك حول تعاطي أوباما مع الملف الإيراني ليست محصورة في حكومات المنطقة وشعوبها، أو من يعتقد أن نظرية المؤامرة مهيمنة على العقليّة العربية، بل وصلت هذه الشكوك إلى الداخل الأميركي ذاته. نعم، في الداخل الأميركي، تتحدث التقارير عن تحقيقات يجريها الكونجرس حول ما إذا كان أوباما وإدارته قد ضللا المشرعين الأميركيين فيما يخص حجم التنازلات التي

كثّر الحديث حول مدى فاعلية آلية تعاطي الإدارة الأميركية الحالية مع الملف الإيراني، فقد قادت هذه الآلية إلى كثير من التكهّنات والانتقادات والقراءات المتباينة حول دوافع وأسباب اختيار إدارة أوباما لهذا الأسلوب في التعامل مع إيران من جانب، ومنحها مساحة إقليمية من جانب آخر.

لقد انكشفت «عقيدة» أوباما السياسية خلال الفترة القصيرة الماضية أكثر من أي وقت سبق، إذ تحدث في المقابلة التي أجراها مع مجلة «أتلانتيك» الأسبوعية، بشكل مباشر، عن الأوضاع في منطقة الشرق الأوسط، ودعا إلى ما أسماه «سلام بارد» بين طهران والرياض، واصفاً حلفاءه الخليجيين بأنهم «قوى جامحة تتهيا لحضورنا واستخدام قوتنا العسكرية في مواجهة حاسمة ضد إيران، بيد أن الأمر لا يخدم المصالح الأميركية، أو مصالح الدول الإقليمية». ثم جاء بثلاثة الأثافي عندما دعا الرياض إلى تقاسم النفوذ في «الشرق الأوسط» مع إيران. كأن أوباما يقول في هذا التصريح إن إيران دولة مظلومة، ويتم التجني عليها من دول المنطقة، وتسعى هذه الدول إلى إثارة واشنطن دون أي أسباب منطقية أو حقيقية!

وعلى خطى رئيسه، جاء تركيز وزير الخارجية الأميركي

ثالثها: أن واشنطن تسعى من وراء هذه السياسة إلى إعداد طهران لمرحلة مشاريع غربية جديدة تستهدف المنطقة وتكون فيها طهران أداة تنفيذ لهذه المخططات. في جميع الأحوال، إذا كان أحد الخيارين الأولين يمثل الحقيقة، فأمل الجميع أن يتم تصحيح هذا المسار بعد الانتخابات الرئاسية القادمة، أما إذا كان الخيار الثالث صحيحا، فإن دول المنطقة مؤهلة للوقوف في وجه المشاريع الفتاكة التي تستهدفها وستنجح، بعون الله، في إفشال ذلك، ولكن بوحدة الكلمة واتحاد الصف أولا.

قدمتها الولايات المتحدة خلال المفاوضات التي عقدتها القوى الدولية الكبرى مع طهران، وأسفرت عن توقيع الاتفاق النووي، حسبما ذكر موقع «فري بيكون».

وأضاف الموقع الأمريكي، أن هناك شكوكا تدور حاليا حول قيام إدارة أوباما بإعادة صياغة بنود الاتفاق من جديد، بعد عرضها على الكونجرس، مما يعني أن هناك تلاعبا من جانب الإدارة الأمريكية في بنود الاتفاق لخداع أعضاء الكونجرس، الأمر الذي أثار قدرا كبيرا من الاستياء.

يقول النائب الأمريكي مايك بومبيو، إن أعضاء الكونجرس كانوا يميلون إلى تصديق المسؤولين الأمريكيين الذين وقفوا أمامهم لشرح الاتفاق، ومن بينهم وزير الخارجية جون كيري، إلا أن الأيام أثبتت عكس ذلك، خاصة أن الفجوة أصبحت كبيرة للغاية بين الوعود التي قطعها هؤلاء المسؤولون على أنفسهم من جانب، وبين الواقع الذي يحدث الآن من جانب آخر.

ولعلنا نضيف هنا أيضا، عدم استبعاد تأثير قوى ضغط وبيوت خبرة وشركات «متنفعة» على قرار أوباما، فيما يخص التعاطي مع إيران.

خلاصة القول، إن الإدارة الأمريكية الحالية تنتهج سياسة رخوة مع النظام الإيراني، الأمر الذي قاد هذا النظام إلى اعتبار ذلك ضوءا أخضر لطهران لبسط يدها في المنطقة، وشرعة تدخلاتها في الشؤون الداخلية للدول العربية، والأهم شرعة دعم طهران للإرهاب والسياسة المعتمدة على الميليشيات والخلايا التجسسية وتهريب الأسلحة والمخدرات وغيرها.

كل ذلك يقودنا إلى ٣ قراءات رئيسة في هذا الصدد: أولها، أن إدارة أوباما تم مخادعتها من مراكز بحوث وجهات استشارية وقوى ضغط موالية لإيران.

ثانيها: أنها انتهجت سياسة الترغيب المبالغ فيها مع النظام الإيراني، وتجاهلت حقيقة سلوك هذا النظام في المنطقة والعالم، رغم الشواهد والأدلة الدامغة التي لا تدع مجالا للشك في خطورتها وانتهاكها لكل المعاهدات والمواثيق الدولية،

## إيران في مرمى الدبلوماسية السعودية

بذلت طهران جهوداً مكثفة للحيلولة دون صدور إدانة لتدخلاتها في المنطقة من قبل ثاني أكبر تجمع دولي بعد منظمة الأمم المتحدة، إلا أنها باءت بالفشل، فما كان من الرئيس الإيراني إلا الانسحاب من القمة

الجماعات والمليشيات الطائفية وتصنيف حزب الله اللبناني كمنظمة إرهابية على المستويين الخليجي والعربي، والتنديد الإسلامي بنشاط الحزب وتدخلاته في سورية والعراق واليمن والبحرين والكويت. وبسبب استئثار هذا الحزب بالقرار الرسمي في لبنان بحيث أصبحت هذه الدولة العربية تصطف في الكثير من القرارات العربية والإسلامية إلى الجانب الإيراني لا العربي فقد اتخذت الرياض خطوة جريئة في إيقاف الدعم العسكري للجيش اللبناني والتحذير من السفر إلى لبنان، وكذلك إيقاف الرحلات الجوية إليها، هذا القرار حظي بترحيب وتفاعل من قبل العديد من العواصم الخليجية. ولعل آخر النجاحات للدبلوماسية السعودية شمول البيان الختامي لقمة منظمة التعاون الإسلامي التي استضافتها مدينة إسطنبول التركية الأسبوع الماضي ٤ مواد تدين التدخلات الإيرانية في المنطقة وخامسة تدين تنظيم حزب الله اللبناني. وقد بذلت طهران جهوداً مكثفة للحيلولة دون صدور هذه الإدانة من قبل ثاني أكبر تجمع دولي بعد منظمة الأمم المتحدة إلا أنها باءت بالفشل، فما كان من الرئيس الإيراني إلا الانسحاب من القمة قبل صدور البيان الختامي.

من جانب آخر، حققت المملكة وحلفاؤها نجاحات

منذ انطلاق عمليات عاصفة الحزم والقيادة السعودية ترفع شعار التصدي، بكل حزم وحسم، للتدخلات الإيرانية في المنطقة، بغرض حماية المجال الحيوي للأمن القومي السعودي والعربي. هذا التوجه السعودي اتخذ عدة مسارات واستخدم العديد من الوسائل المختلفة لمحاصرة النفوذ الإيراني وتجفيف منابعه، وإجبار طهران على التحول من منطقة الهجوم والتمدد إلى الدفاع والانسحاب إلى الداخل، الأمر الذي أربك إيران وأتباعها في المنطقة، كما قاد إلى مزيد من التنسيق والتلاحم مع المملكة على المستويين العربي والإسلامي.

ففي البعد السياسي، شهد العالم نجاح الدبلوماسية السعودية في محاصرة إيران والأحزاب والتنظيمات التابعة لها، بدءاً من مرحلة قطع العلاقات مع إيران أو تخفيض مستوى التمثيل الدبلوماسي معها من قبل العديد من الدول العربية بعد الاعتداء على البعثة الدبلوماسية السعودية في مشهد وطهران. لم تتوقف الرياض عند هذا الحد، بل نجحت في استصدار تجريم وإدانات خليجية وعربية وإسلامية لهذا العمل المخالف لكافة الأعراف والمواثيق الدولية. أيضاً نجحت الرياض في استصدار العديد من الإدانات للتدخلات الإيرانية في الشأن الداخلي العربي والعمل على نشر الطائفية ودعم



وأتباعه من مواصلة مساعيهم التخريبية. المؤشرات تؤكد أن السعودية سوف تستمر في محاصرة إيران على كافة الأصعدة وتستثمر قوتها الدبلوماسية وعلاقاتها مع دول العالم لفضح الممارسات الإيرانية في المنطقة والعالم لتضطلع الدول بدورها في مواجهة هذه التصرفات الإيرانية التي تنتهك كافة الأعراف والمواثيق الدولية وعلاقات حسن الجوار.

إن محاولات إيران الانفتاح على الدول الغربية بعد الاتفاق النووي في مقابل الاستمرار في السلوك الطائفي ودعم الإرهاب وتصديره إلى دول المنطقة والعالم سلوك متناقض لا يمكن القبول بهما في آن واحد، وبالتالي على طهران أن تختار بين سلوك الدولة وسلوك الثورة الطائفية على المستويين الإقليمي والدولي، أما محاولات الخداع والعزف على المظلومية ومزاعم مكافحة الإرهاب والسعي إلى الوحدة الإسلامية فمجرد شعارات للتضليل الإعلامي وقد ولى زمن الانخداع بها أو تصديقها.

عسكرية في اليمن وعملت على إعادة تأهيله بعد أن تم اختطافه من قبل الميليشيات الحوثية وأنصار المخلوع، كما أن هناك ضغوطا وموقفا حازما بشأن القضية السورية، وضرورة رحيل نظام بشار الأسد الذي فتك بالشعب السوري وتفنن في إبادته بطرق مبتكرة وحصرية. أما في العراق فتقوم المملكة بجهود حثيثة لإنقاذ العراق من التوغل الإيراني وإعادةه إلى حضنه العربي وبخاصة أن إيران تنظر إلى العراق في مراحل تاريخية سابقة كعدو أول وهي الآن تسعى للانتقام من العراق والعراقيين عبر إضعاف هذه البلاد وجعلها تابعة لطهران سياسيا واقتصاديا، كيف لا وقد أعلن ذلك صراحة علي موسوي مستشار روحاني لشؤون القوميات والأقليات الدينية بأن إيران تعمل على إعادة تشكيل الإمبراطورية الساسانية وتكون بغداد عاصمة لها. وبعد كل هذا الوضوح هل ينتظر العراق وشعبه خيرا من إيران؟

أيضا حققت المملكة نجاحات أمنية تتمثل في تفكيك خلايا التجسس الإيرانية ومحاصرة عناصر حزب الله اللبناني المتخفية تحت ستار الاستثمارات، كما حذرت كافة المواطنين السعوديين والمقيمين في المملكة من أي تعاملات مع حزب الله. في هذا الصدد قامت بعض دول الخليج بخطوات مماثلة، حيث قامت دول مثل الإمارات والكويت والبحرين بترحيل العديد من المواطنين اللبنانيين المرتبطين بالحزب.

واقتصاديا، تتبعت الرياض الأحزاب والميليشيات التابعة لإيران، وعلى رأسها حزب الله اللبناني، فنجحت في استصدار تصنيف خليجي وعربي للحزب كتنظيم إرهابي وعملت على تجفيف مصادره المالية واستثماراته في المنطقة. كما اتخذت دول الخليج، وعلى رأسها السعودية، إجراءات للتضييق على أذرع حزب الله الاقتصادية، لا سيما أن جملة منها كانت تستفيد من الفرص الاستثمارية والتجارية في أسواق الخليج إلا أن عمليات الحزب المعادية لهذه الدول دفعتها إلى إعادة النظر في طبيعة هذه الفرص، بما يمنع تغذية الحزب

## ظريف والرقص على جراح المنطقة

يزعم ظريف أن بلاده لم تبدأ حرباً ضد أي دولة منذ أكثر من ٢٠٠ عام، ولكن ما الفرق بين تحريك الجيوش النظامية وتحريك فرق الموت والمليشيات والجماعات الإرهابية؟

العالم، وإيران منذ أكثر من ٢٠٠ عام ماضية لم تبدأ حرباً، وتعهدت أنها لن تقوم في أي وقت بمثل هذا التصرف الأحمق، وتريد من الآخرين الوعد بمثل هذا الأمر.

وطالب ظريف من نظرائه في العالم، أن يفكروا في ماذا حققت الدبلوماسية بدلاً من التهديد والعقوبات وإظهار القوة.

عندما نقرأ هذه الأسطر نقول دون تردد يا لجمال هذا الكلام، ويا لإنسانيته ورحمته واتساع أفقه، فإنه يفتح نوافذ الأمل والسلام والمحبة في العالم بأسره، ولكن، وألف آه من لكن هذه، عندما نتذكر كاتبها والنظام الذي ينتسب إليه نقول: يا لدهاك وروحك الماكرة، ثم قد نلحقها ربما بالقول يالسذاجتك وألف مرة لسذاجة من يصدقك ويتجاهل الحقائق الماثلة على أرض الواقع. إذا كان الشعب الإيراني لن ينس حرب الثماني سنوات مع العراق، فالشعب العراقي بدوره لن ينسى ذلك أيضاً، والأهم ما فعلته إيران ومليشياتها في العراق منذ ٢٠٠٣ وحتى يومنا هذا.

وبعيداً عن العراق، لن تنسى البحرين والكويت واليمن ولبنان والشعب السوري ما فعلته وما تزال إيران من قتل عبر عناصرها وأذرعها، وما تم من تهريب

في مقاله الأخير في صحيفة واشنطن بوست الأميركية، تحدث وزير الخارجية الإيراني محمد جواد ظريف، عن عدة نقاط حاول خلالها إثبات سلمية إيران ونواياها وبرنامجه النووي، ونظرته الإيجابية والإنسانية تجاه دول الجوار.

يقول ظريف، إن الشعب الإيراني لم ينس قصف الصواريخ والصور الموحشة للرجال والنساء والأطفال القتلى خلال الحرب العراقية الإيرانية، كما زعم ظريف أن دول المنطقة تطلق تصريحات التنديد والاستنكار في كل مرة تقوم فيها إيران ببعض التجارب الصاروخية أو المناورات العسكرية، على الرغم من أن هذه الدول تنفق أضعاف ما تنفقه إيران على التسليح. ثم اتجه ظريف نحو تلميع بلاده على حساب ما تعيشه المنطقة العربية من صراعات وحروب، ليقول بالحرف الواحد «لحسن حظ إيران أنه في الوقت الذي تنفجر فيه القنابل في الأماكن العامة في جميع أنحاء الشرق الأوسط، وتحدث حروباً على أبواب الحدود الإيرانية، توفر إيران أجواء الاستقرار والأمن والسلامة لمواطنيها، وللأشخاص الذين يأتون لزيارتها، ويتعاملون تجارياً معها». ولإثبات حسن نوايا إيران تجاه جيرانها والمنطقة بأسرها يقول ظريف، إن الشعب الإيراني لا يرغب إلا في السلام والتعاون مع الجيران ودول

الانتصار في الحروب التقليدية، لذلك اتجهت إلى الخطة «ب»، وهي حرب العصابات أو ما يسمى بـ proxy wars. فعدم شن إيران حربا نظامية لا يعني براءتها من الأنواع الأخرى من الحروب التي تعد أكثر شراسة وخطورة.

ختاما، يطالب ظريف بالحلول السياسية والدبلوماسية وكل دول العالم تطالب بذلك، ولكن السؤال: هل إيران تبحث عن هذه الحلول بعيدا عن الاستهلاك الإعلامي؟ وهل إيران مستعدة لكف يد شرها عن دول المنطقة، وإيقاف دعمها للمليشيات وتصدير الطائفية، والتوقف عن دعم الشغب والإرهاب في الداخل العربي؟

إن محاولات العزف على المظلومية، والظهور بالبراءة أمام القارئ الغربي لن تجدي نفعا، حتى وإن انخدع بها بعض من يجهل حقيقة ما يحدث في منطقة الشرق الأوسط. لقد سمعت دول المنطقة هذه التصريحات كثيرا، ولكن لم تر خطوة واحدة على الأرض تجعلها تصدق إيران، بل كلما زادت مثل هذه التصريحات كلما ارتفعت وتيرة التدخلات، ويبدو أنه لا مجال أمام إيران سوى تغيير سلوكها، إذا ما أرادت أن يصدقها العالم، ودول الجوار تحديدا.

للمتفجرات والأسلحة وزرع الخلايا التجسسية، وما قامت به عناصر الحرس الثوري من اغتالات وتفجيرات في جميع هذه الدول بلا استثناء.

أما قوله إن إيران تنعم بالأمن والاستقرار في منطقة مضطربة، فهذا حق أريد به باطل، ولكن الأهم، من افتعل كل هذه الفوضى وانعدام الأمن والاستقرار في الدول المحيطة بإيران؟ ولماذا أصبحت إيران في مأمن من كل ذلك على الرغم من شعارات العداء المتبادلة بين طهران والتنظيمات الإرهابية التي تعثو في المنطقة فسادا وكأن أهدافها وإيران واحدة؟

أما على المستوى الداخلي، فهناك اشتباكات مستمرة بين المناضلين البلوش والعرب والأكراد من جانب، وقوات الأمن والحرس الثوري من جانب آخر، وهذه المواجهات جديرة قادت بعض مراكز الأبحاث الغربية إلى تصنيف الخطر الأمني في بعض المحافظات الإيرانية بدرجة «عالي»، والخطر السياسي بالمتوسط.

يشير ظريف إلى أن دول الجوار تنفق على التسليح أكثر مما تنفقه إيران، وقد يكون ذلك صحيحا، ولكن الفرق في أهداف الحصول على الأسلحة وطرق استخدامها. هذه الدول تنفق على التسليح لحماية نفسها لا لتصديره إلى المليشيات والجماعات المسلحة من اليمن جنوبا إلى لبنان شمالا، ومن طاجيكستان شرقا إلى نيجيريا غربا. هل قرأت يوما معالي الوزير خبرا يتحدث عن إحباط تهريب كميات من الأسلحة الخليجية كانت في طريقها إلى هذه الدولة أو الجماعة أو تلك؟

بالتأكيد لا، ولكن ماذا عن كميات الأسلحة التي يتم اكتشافها بشكل دوري في دول المنطقة ومصدرها إيران؟ يزعم ظريف أيضا «وهذه أسطوانة نسمعها كثيرا من اللوبي الإيراني في الغرب ورددها بعض الساسة هناك»، أن بلاده لم تبدأ حربا ضد أي دولة منذ أكثر من ٢٠٠ عام، ولكن ما الفرق بين تحريك الجيوش النظامية، وتحريك فرق الموت والمليشيات والجماعات الإرهابية؟ في نهاية المطاف، إيران تدرك جيدا حجم قوتها العسكرية، وجربت ذلك وتأكدت أنها غير قادرة على